اقطاب الدوائر

في تفسير آية التطهير

تأليف

العلّامة الحجة الشيخ عبد الحسين

من علماء القرن الثاني عشر

ويليه رسالتان حول العصمة

للعلّامة آية الله الشيخ لطف الله الصافي

دام ظله الوارف

من منشورات دار القرآن - قم - شارع الشهداء

اقطاب الدوائر

فى تفسير آية التطهير

تأليف

العلامة الحجة الشيخ عبدالحسين

من علماء القرن الثانى عشر

وتليها رسالتان حول العصمة

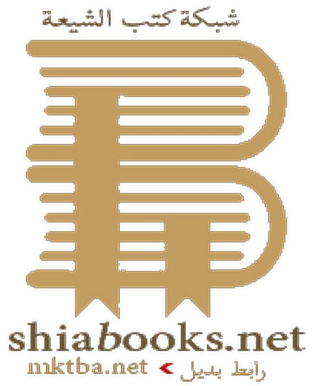
للعلامة آية الله الشيخ لطف الله الصافى

دام ظله الوارف

من منشورات دارالقرآن ـ قم شارع الشهداء

جمادى الاخرة ١٤٠٣

المطبعة العلمية ـ بقم



مواصفات الكتاب

* اسم الكتاب : اقطاب الدوائر
* المؤلف : العلامة الشيخ عبدالحسين بن مصطفى
* الموضوع : تفسير آية التطهير
* تحقيق وتخريج : على الفاضل القائينى النجفى
* القطع : رقعى
* عام الطبع : (١٤٠٣ هـ)
* المطبعة : المطبعة العلمية بقم
* الناشر . دار القرآن الكريم قم : شارع الشهداء
* الهاتف : ٢٢٢٤٠

تم اخراج وانتاج هذا الكتاب فى
مؤسسة الامام الصادق عليه السلام
قم شارع الشهداء

اقطاب الدوائر



«انما يريدالله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً»

قرآن کریم

الاحزاب - ۳۳

«جمع رسول الله ﷺ علياً وفاطمة والحسن والحسين ثم ادار عليهم الكساء فقال : هؤلاء اهل بيتى اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» .

تاريخ بغداد ج ۱۰

والاستيعاب ج۲ ص ۴۶۰

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم بقلم : جعفر السبحاني

العصمة حقيقتها و بحوثها

لما ذا نبحث عن العصمة ؟

ليست (العصمة)، من المسائل الخلافية التى عفى عليها الزمن والتى يجب ان تترك الى غيرها من المسائل، بل(العصمة) من الامور التى ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالثقافـة والحياة الاسلامية الحاضرة ، لان بحث (العصمة)بحث فيما يضمن سلامة هذه الثقافة، واستقامتهاوبالتالى يضمن مطابقةحياتنا الحاضرة لما انزل الله من تشريع وماترك نبيه العظيم ﷺ من سنة .

فكما يشترط (العصمة) فى النبى الذى يوحـى اليه ، ضماناً لسلامة تبليغه ، والالمـا وثق الناس بكلامه ، ولما اطمأنوا الى اخباره

وحديثه، كذلك لابد من اشتراط هذه الصفة فيمن يحمل الى الاجيال المتلاحقة هذا التشريع الالهى و يكون امتداداً للنبوة فـى وظائفها ومسؤولياتها، حفاظاًعلىالدين من تحريفالمحرفين، وابطالالمبطلين وتشكيك المشككين .

ان اسوأ داءِ اصاب الشرائع السابقة هوان اتباعها أخذوا احكام انبيائهم بعد غيابهم من كل مـن هبّ و دب ، فكان التحريف الذى تحدث عنه الكتاب العزيز فى ثلاثة مواضع(١) وكان الضلال ، وكان الضياع.

ان بحث العصمة لايعنى الاّالتعريف بالطريق الافضل ، لتلقى الشريعة الالهية على نقاوتها واصالتها،ومن هنا يكونطرحهذهالمسألة على بساط البحث ضرورة يقتضيها الواجب على كل مسلم بان يتلقى دينه من اكثر الطرق اطمئناناً.

العصمة فىاللغة

العصمة فى اللغة بمعنى المنع، ويطلق على ما يعتصم بهالانسان ويمنع به نفسه عن الوقوع فيما يكره .

و منه قولهم : اعتصم فلان بالجبل اذا امتنع به ، ومنه سميت العصم وهى وعول الجبال لامتناعها بها .

قال سبحانه : «سآوى الىجبل يعصمنى من الماءِ قال: لاعاصم

---

(١) البقرة ٧٥ النساء٤٦ المائدة ١٣

اليوم من امر الله. الامن رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين»(١) اى التجأ الى الجبل زاعماً انه يمنعه من الماء، واجيب بانه: لامانع من امره سبحانه الا من رحم(٢).

العصمة فى مصطلح المتكلمين

فى مصطلح اهل الكلام تعنى العصمة التوفيق و اللطف والاعتصام عن الذنوب والغلط فى دين الله ، وهى تفضل من الله على من علم انه يتمسك بعصمته (٣) .

وبعبارة اخرى: العصمة لطف من الله الى المكلف يمنع منه وقوع المعصية وترك الطاعة مع قدرته عليهما (٤) .

و يقرب من هذين التعريفين ، مـا عرفه غير واحد من علماء الكلام (٥) .

وهذه التعاريف توقفنا على حقيقة العصمة ، و انها ليست امراً اكتسابياً بل هى موهبة من الله سبحانه لمن فيه قابلية ذلك الفيض وتلك الموهبة، وهذا مما لابحث فيه و انما الكلام هو فى منشأ هذه العصمة وبعبارة اخرى من اى مقولة هى ؟

---

(١) هود : ٤٣

(٢) اوائل المقالات ١١١

(٣) شرح عقائد الصدوق ٦٠

(٤) النكت الاعتقادية ٤٥

(٥) لاحظ تعاليق اوائل المقالات ص ٣٠

العصمة من مقولة العلم الرادع

الحق ان العصمة نوع من العلم يفاض منه سبحانه على من اختاره الله سبحانه فيمنعه عن ارتكاب المعصية اوالوقوع فى الخطأ ، بل ويردعه عن التفكير فى كل ذلك ، فضلا عن العمل، وذلك اثر العلم وخاصيته، فان العلم النافع والحكمة البالغة يوجبان تنزه صاحبهما عن الوقوع فى مهالك الرذائل، والتلوث باقذار المعاصى، وذلك مما نشاهد فى رجال العلم والحكمة من اهل الدين والتقى غير أن سببية (العلم العادى) سببية غالبية لا دائمية وان شئت قلت : هو مقتض للتنزه عن المعاصى، كما هو شأن سائر الاسباب الموجودة فى عالم المادة وعلى ذلك فكل متلبس بالكمال، يحجزه ذلك الكمال عن النقص، ويصونه عن الخطأ حسب قوته وشدته .

هذا هو شأن (العلم) واثره ، غير ان القوى الشعورية والغريزية الاخرى ربما توجب مغلوبية (العلم) وتنفى اثره، اوتوجب ضعفه، فصاحب ملكة التقوى ـ مثلا ـ مادام يشعر بتلك الفضيلة ويخضع لتلك الملكة فهو لا يميل الى الشهوة غير المرضية، وانما توجب ان يجرى صاحبها على مقتضى تقواه ، غير ان اشتعال نار الشهوة ، ربما اوجب تغلب الشهوة على ذلك الشعور الدينى، فلا يلبث دون ان يرتكب مالا يرتضيه التقوى وعلى هذا النمط يكون حال سائر الاسباب الشعورية فى الانسان فهو لا يحيد عن حكم سبب ومقتضاه مادام ذلك السبب قائماً على قدم و ساق و مادام الانسان يخضع له ويعيش فى جوّه الا اذا غلبته سائر القوى البشرية الاخرى ، فهناك يسقط تأثير السبب المغلوب، وينساق

الانسان مع مقتضى السبب الغالب.

نعم شتان بين (العلم العادى) الذى يحجز صاحبه عن ارتكاب الرذائل و(العلم المفاض من الله) سبحانه الى اوليائه، فان العلم المفاض سبب علمى غير مغلوب البتة، ولو كانت من قبيل ما هو متعارف من اقسام الوعى والعلم، ومن الانواع المألوفة من الشعور والادراك، لتسرب اليه التخلف، فهذا العلم الذى يصون حامله عن ارتكاب المعاصى والخطايا، يغاير سائر العلوم والادراكات العادية المألوفة التى تحصل بالاكتساب والتعلم، ولعله الى ذلك يشير سبحانه بقوله «وانزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم»(١).

فان قوله «وعلمك مالم تكن تعلم» بقرينة عطفه على نزول الكتاب والحكمة، يفيد ان للنبى علماً مفاضاً منه سبحانه مضافاً الى العلم والحكمة اللذين انزلا عليه .

ويؤيده ان مورد الاية هو قضاء النبى ﷺ فى الحوادث الواقعة والدعاوى التى يقضى فيها النبى بعلمه الخاص، وليس فى ذلك شىء من الكتاب والحكمة.

من كل هذا تبين ان هذه الموهبة الالهية التى نسميها بالعصمة نوع من العلم و الشعور يغاير سائر انواع العلم فى انه غير مغلوب لشىء من القوى الشعورية بل هو الغالب القاهر على سائر القوى المستخدمة اياه ولاجل ذلك فان العصمة ـ بهذا المعنى ـ تصون صاحبها، و تمنعه

---

(١) النساء ١١٣

من الوقوع فی المعاصی بل و التفکر فیها و قد ورد فـی الروایات و الاخبار ان للنبی و الامام روحاً تسدده ، و تعصمه عـن المعصیة والخطیئة (١) .

ومما یقرب کون العصمة من مقولة العلم هو انه ربمایبلغ العلم فی الافراد العادیین مرتبة یوجب ایجاد العصمة فی آحاد الناس فی بعض الموارد ، ولذلك لایمس الانسان العاقل بیده الاسلاك الکهربائیة ولا یلقی بنفسه امام السیارة المتحرکة لعلمه بان فی ذلك هلاکه وموته

فلو بلغ علم الانسان فی جمیع المجالات الی هذه المرحلة لصار معصوماً ومصوناً من کل المعاصی وعاد مثالا لقوله سبحانه : « کلا لو تعلمون علم الیقین لترون الجحیم ثم لترونها عین الیقین» (٢)

العصمة لا تسلب الاختیار عن صاحبها

ومما یجب التنبیه علیه هو ان صاحب العصمة ـ مع ماله من تلك الموهبة الالهیة العظمیة ـ قادر علی ارتکاب المعصیة وان کان لایختارها و هذا یعنی ان العلم الالهی المذکور لا یوجب سلب الاختیار عـن صاحبه .

وان شئت قلت: ان صاحب العصمة وان کانت لاتصدر منه المعصیة قط الی آخر عمره الا ان عدم الصدور لیس بمعنی کونه ملتجئاً علی الترك ، ومضطراً الی الطاعة بل (المعصوم) قادر علی کلا الطرفین الفعل

---

(١) الکافی ج ١ / ٢٧٣ ولاحظ المیزان ج٥ ص ٨٠

(٢) التکاثر ٥-٧

والترك ، و يختار الطاعة على المعصية بارادته و اختياره ، وسنوضح ذلك بالمثال التالي :

لاشك ان قدرته سبحانه عامة تشمل قدرته على القبائح كقدرته على الحسن غير انه لايصدر منه القبيح قط في زمن من الازمان ولاجل ذلك نرى عمومية قدرته لكل شيء ، و نـرى في جانبه عدم صدور القبيح منه سبحانه اذ لو لم يقدر على القبيح لما صح قولنا : انه على كل شيء قدير .

و نظيره المعصوم المصون من القبائح فهو يعصم نفسـه طيلة حياته من اى قبيح و ان كان قادراً على الاتيان بها و قد نص بذلك علماؤنا الاعلام.

فقد قال المفيد: وليست العصمة مانعة من القدرة على القبيح، ولا مضطرة للمعصوم الى الحسن ولا ملجئة له اليه بل هي الشيء الذي يعلم الله تعالى انه اذا فعلها بعبد من عبيده لم تؤثر معه معصية له. وليس كل الخلق يعلم هذا من حاله، بل المعلوم منهم ذلك بل هم الصفوة والاخيار

قال الله تعالى «ان الذين سبقت لهم منا الحسنى»(١)

وقال سبحانه . «ولقد اخترناهم على علم على العالمين» (٢)

وقال سبحانه : « وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار » (٣)

---

(١) الانبياء/ ١٠١

(٢) الدخان/ ٣٢

(٣) ص/ ٤٧ ولاحظ شرح عقائد الصدوق/ ٦

موقف الشيعة من العصمة

يجد المتتبع فى الابحاث الكلامية: ان الشيعة الامامية أشدالفرق التصاقا بالعصمة، واكثر الطوائف الاسلامية تنزيها للانبياء عن وصمة النقص والذنب والخطأ، ويلاحظ ذلك من السبر فى الاقاويل المنقولة حول عصمة الانبياء من الفرق الاسلامية.

فالمعتزلة جوزوا الصغائر على الانبياء و ذهبت الاشاعـرة ، والحشوية الى انه يجوز عليهم الصغائر والكبائر الا الكفر والكذب.

وقالت «الامامية» : انه يجب عصمتهم عن الذنوب كلها صغيرة كانت او كبيرة،وهناك اقوال اخر تظهر من ملاحظة الكتب الكلامية (١)

العصمة وآية التطهير

قد استدلت الشيعة عن بكرة أبيهم بآية التطهير ، اعنى قولـه سبحانه « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيراً »(١) على عصمة اهل البيت النبوى الطاهر.

وقد افاض المفسرون حول الاية واتوا ببيانات شافية فى وجه دلالة الاية على عصمة اهل البيت، كما نقلوا الروايات الموضحة للمراد منها يقف عليها كل من راجع تفاسير الفريقين.

غير ان هناك جماعة من العلماء قد اعتنوا بشرح هذه الاية عناية

---

(٢) كشف المراد/٢١٧ ودلائل الصدق ١/٣٦٨

(١) الاحزاب /٣٣

خاصة، وقاموا بتفسيرها باكمل الوجوه وافردوا لذلك تآليف ورسائل نشير ـ فيما وقفنا عليه ـ الى مايلي:

١ ـ « السحاب المطير في تفسير آية التطهير » للسيد القاضي نورالله بن الشريف الحسيني المرعشي الشهيدعام (١٠١٩) (١) .

٢ ـ تطهير التطهير تأليف العلامة بهاء الدين محمد بن حسن الاصفهاني الشهير بالفاضل الهندي المتوفى عام ١٣٣٥ هـ ، وقد بحث فيه عن آية التطهير و كتبه رداً على من فسره بغير معناها ومفادها من العامة .

٣ـ شرح تطهير التطهير كتبه العلامة السيد عبد الباقي الحسيني شرحاً لما كتبه الفاضل الهندي الآنف الذكر.

٤ـ اذهاب الرجس عن حظيرة القدس للعلامة الشيخ عبدالكريم بن محمد طاهر القمي كتبه في رداعتراضات اوردها بعضهم على تطهير التطهير تأليف الفاضل الهندي.

وله ايضاً كتاب : الصور المنطبعة الذي بحث فيه عن اثبات العصمة للائمة بآية التطهير.

وهذه الكتب الاربعة الاخيرة توجد في مجموعة موجودة في مكتبة آية الله العظمى الگلپايگاني في دار القرآن الكريم .
لاحظ فهرس المخطوطات لهذه المكتبة ص٤٢ ـ ٥٢.

٥ـ تفسير آية التطهير، وهي رسالة فارسية تاليف الشيخ اسماعيل بن

---

(١) الذريعة ٤ / ٤٦٩

زين العابدين المقلب بمصباح (١٣٠٠-) قد اثبت فيها : ان اهل البيت مطهرون من كل رجس دنيوى (١).

٦ - «التنوير فى ترجمة رسالة آية التطهير» التى الفها القاضى نورالله الشهيد، ترجمها الى اللغة الاردية السيدحسن عباس الموسوى النيسابورى الكنتورى منشيء (دفتر الشهيد) طبع الاصل مع تذييل فى كل صفحة بالهند عام (١٣٤١) (٢).

٧ -«جلاء الضمير فى حل مشكلات آية التطهير» للشيخ محمد على بن محمد تقى البحرانى طبع فى بمبئى بالمطبعة المظفرية عام (١٣٢٥) (٣).

٨- «اقطاب الدوائر» التى الفها العلامة «عبدالحسين بن مصطفى» احد علمائنا الامامية فى القرن الثانى عشر ، الفه لاحد امراء عصره «بهمن ميرزا» ولم نعثر على ترجمته غير انه يعد من طبقة تلاميذ العلامة المجلسى (قدس سره) وربما يعبر عنه بالفاضل المجلسى ، وقد فرغ من الكتاب فى شهر رجب عام (١١٣٨) ولم نعثر على حياته، غير ان له شرحاً على «الباب الحادى عشر» ونص به فى الكتاب المزبور.

وقد قمنا بطبع هذا الكتاب (الذى بين يديك الان) خدمة لاهل بيت الرسالة و يرى الباحث عن الحقيقة فيه عمقاً فى البحث وسعة

---

(١) الذريعة ٤ / ٣٢٦

(٢) الذريعة ١٢ / ١٥٠

(٣) الذريعة ٥ / ١٢٢

اطلاع فی الموضوع ، فهو بحجمه الصغیر ینبئی عن مكانة المؤلف المرموقة بحبه وولائه ونضاله فی الدفاع عن حریم التشیع و لم نقف علی ازید من نسخة ولعلها بخط المؤلف نفسه .

وقد كانت فی مكتبة آیـة الله الوالد المرحوم الشیخ محمد حسین السبحانی قدس سره الذی استوهبها من صدیقه العالم التقی الشیخ حسین «النمروری» الذی كان مولعاً بجمع الكتب المخطوطة ومهتماً بها رحمهما الله ورحم الماضین من علمائنا .

هذا وقد وفق الله سبحانه الفاضل المحقق الشیخ علی الفاضل القائینی النجفی «صاحب معجم مؤلفی الشیعة» الذی سیزفه الی الطبع لان یكرس اهتمامـه فی استنساخ هـذه الرسالة النفیسة وتحقیقهـا ، وتخریج مصادرها ، والتعلیق علیها بمالابد منه فی فهم المراد، ومقابلة النصوص الواردة فیهـا مع اصولهـا الحدیثیة والقرآنیة ، فجـاءت الرسالة هذه رسالة كافلة لاثبات مـایتوخاه مؤلفها ، فشكر الله مساعی المؤلف والمعلق علیها ، ولهما الشكر الجزیل منا ومن كل قاری یحمل بین جنبیه الود والولاء الخـالص لال الرسول علیه وعلیهم افضل الصلاة والسلام .

قم ٢٠ جمادی الاخرة ١٤٠٣

جعفر السبحانی

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله المتقدس بجلال ذاته عن تحديد اولی البصائر ، المتنزه بكمال قدرته عن تقديره بالاشباه والنظائر.

و الصلاة على سيدنا محمد الذى بشربه فی صحف الكبائر ، وعلى آله الانجاب الذين هم اقطاب الدوائر.

اما بعد: فلما كانت سيرة امراء المسلمين- وروسائهم فی جميع الاعصار والامصار- كمال السعی والاهتمام الى تنفيذ الاحكام الشرعية و القيام الى مراسم الامور الدينية ، خصوصاً الى تزئين مجالسهم ، و تحسين محافلهم بمذاكرة مسئلة الامامة ، و بيان عصمتهم و سائر صفاتهم .

وكان اقبال أكثر الناس واشتغالهم بتحصيل العلوم الدينية من مآخذها والمسائل الشرعية من أدلتها ، من فروع الدين واصول العقائد ، وبذل جهدهم، واستفراغ وسعهم فی انحاء العلوم الحقة، أهم الامور وأتمها

عندهم، حتى صنفوا فيها كتباً عديدة ، ومصنفات كثيرة ، قد صارت تلك الكتب المدونة من نفائس خزائن امراءِ عصرهم، واصول ذخائر رؤساءِ دهرهم، وجعلوا ذلك وسيلة الى التقرب الى الله سبحانه ، و نيل شفاعة نبيهم ، و اوليائهم . اولئك حزب الله « الا ان حزب الله هم المفلحون» .

[لا] سيما اميرنا الاعظم ورئيسنا الافخم، صاحب الفطانة النافذة جامع الفراسة الناقدة، معدن المروؤة والعدالة، مخزن السخاوة والشجاعة، ماحي الظلم والعدوان، باني العفو والاحسان، لم يوجد مثله حارساً للامارة ، ولم يعهد شبهه حافظاً للحراسة، وحيد عصره، وفريد دهره، اعني أميرنا اميرزاده اعظم « بهمن ميرزا » حفظه الله تعالى عن جميع التلهفات والتأسفات ، بمحمد و آله كاشف المعضلات .

فانه قد بلغ الغاية شوقه، ووصل النهاية ميله، الى مذاكرة العلوم الشرعية، خصوصاً الى ذكر فضائل ائمتنا عليهم السلام ، ف « صرفت فكرى ، وبذلت جهدى الى تحرير رسالة فى اثبات وجوب عصمتهم التى هى ملاك نجاة الفرقة الناجية من بين «ثلاث وسبعين فرقة» مروية(١) وجعلتها

---

(١) عن ابى هريرة قال : قال رسول الله (ص) : ... وتفترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة . مسند احمد بن حنبل: ٢: ٣٣٢

عن على (ع) ... وستفترق هذه الامة على ثلاث و سبعين فرقة اثنان وسبعون فرقة فى النار، وفرقة فى الجنة، وهى التى اتبعت وصى محمد (ص) وضرب بيده على صدره . الامالى ص٣٣٣ للشيخ ابى جعفر محمد بن الحسن (٣٨٥ - ٤٦٠) .

تحفة الى حضرته الشريفة ، و خدمته العلية ، و أرجو من الله ان يجعلها موافقاً لطبعه، ومطابقاً لما ادى اليه فكره»

* * *

آية التطهير عصمة اهل والبيت (ع)

اقول: انه لما كانت «آية التطهير» (١) اولى ما استدل به علماء أصحابنا معاشر الامامية نور الله مراقدهم ، على عصمة «اهل البيت» عليهم السلام بل و على حجية اجماعهم ، خلافاً لاهل السنة، فلا جرم نشير الى بيان الاستدلال بهذه الاية الشريفة ، و كيفية الاحتجاج بها على عصمة اهل بيت نبينا صلى الله عليه و آله: بحيث يندفع به شكوك اهل الخلاف و شبهتهم ، خصوصاً شكوك رئيس المشكّكين « الفخر الرازى»(٢) ثم نشير الى ما يتعلق بها من المباحث ، ويناسب لها من المسائل ، مستمدا من الله سبحانه انه خير موفق ومعين.

* * *

تفسير آية التطهير :

قال الله سبحانه : «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيراً » (٣) نصب اهل البيت فى الاية: على النداء، على

---

(١) سورة الاحزاب (٣٣) : ٣٣

(٢) هو محمد بن عمر الطبرستانى (٥٤٤-٥٤٥-٦٠٠) مؤلف مفاتيح الغيب المشهور بالتفسير الكبير .

(٣) سورة الاحزاب (٣٣) : ٣٣ .

وجه الاختصاص ، اوعلى المدح .

قال الشيخ ابو علی الطبرسی طاب ثراه(١) فی تفسير جوامع الجامع(٢) : اتفقت الامة على ان المراد «اهل بيت نبينا صلی‌الله‌علیه وآله» انتهى .

ثم الرجس فی اللغة (٣) القذر، والقذر ضد النظافة. والطهارة لغة : النزاهة والنظافة فالمراد من اذهابه سبحانه الرجس عنهم (ع) تبرئتهم وتنزيههم عن الامور الموجبة للنقص فيهم، وتنفر الطباع عنهم خلقاً و خلقاً، و ذم العقلاء اياهم ، فيدخل فيه الذنب، وكل ما يوجب النفرة وان لم يكن ذنباً بل يدخل فيه الخطاء، ايضاً لكونه مستلزماً للنقص فيهم ، فيمنع عن اتباعهم فيفوت الغرض والمصلحة من نصبهم علیهم‌السلام او المراد من الرجس : الذنب خاصة ، قال فی الجوامع : الرجس مستعار للذنب (٤) والطهر للتقوى.

وقال صاحب المدارك : قد ذكر المفسرون ان الطهارة هنا تأكيد للمعنى المستفاد من ذهاب الرجس فی زوال اثره بالكلية ، و الرجس

---

(١) هو ابوعلی الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسی الملقب بامين الاسلام (٥٤٨) مؤلف تفسير مجمع البيان وتفسير جوامع الجامع وغيرهما فرغ عن تفسيره عام ٥٣٨ وشرعه عام ٥٣٠ .

(٢) تفسير جوامع الجامع / ٣٧٢ .

(٣) راجع لسان العرب ٦: ٢٢٦ .

(٤) جوامع الجامع / ٣٧٢

فى الاية مستعار للذنوب ، كما ان الطهارة مستعارة للعصمة(١) .

اذا تقرر هذا فاعلم: أن ماقبل الاية وما بعدها وان اقتضى دخول ازواج النبى صلى الله عليه وآله فى تلك الاية: الا أن العلامة (٢) « قدس سره » قد نقل الاجماع على ان المراد بأهل البيت فى الاية هو «على وفاطمة والحسن والحسين» عليهم السلام.

عن ابى سعيد الخدرى ، عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال : الاية نزلت «فىّ وفى على وفاطمة والحسن والحسين» عليهم السلام.

وعن ام سلمة «رضى الله عنها» انها قالت : جائت فاطمة «عليها السلام» الى النبى صلى الله عليه وآله تحمل حريرة له(ص) فقال النبى صلى الله عليه وآله : ادعى زوجك وابنيك، فجائت بهم، ثم القى عليهم كساءاً خيبرياً، وقال: هؤلاء اهل بيتى وعترتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فقلت: يا رسول الله الست من أهل البيت ؟ قال : أنت على خير (٣) ولم يجعلها منهم فلو كان راجعا الى الزوجات لدخلت هى فيهن ايضاً، ولاجابها بـ«نعم».

وايضاً مراد الله تعالى فى افعاله واجب الوقوع عند الكل، فيكون

---

(١) كتاب المدارك ١ : ١ للسيد محمد بن على الموسوى العاملى (١٠٠٩) .

(٢) هو الحسن بن سديد الدين يوسف الحلى المشهور بالعلامة (٦٤٨ - ٧٢٦) .

(٣) جاء هذا الحديث فى اكثر كتب الحديث و نذكر جملة من المصادر مشكل الاثار ١ : ٣٣٢ واسباب النزول للواحدى ٢٠٣/ و رواه الطحاوى فى ذخائره ٢٣/ و تفسير ابن جرير الطبرى ٢٢ :٦ و مستدرك الصحيحين ٢ : ٤١٦ وتفسير در المنثور٥: ١٩٩ واسد الغابة ٢: ١٢ ...

وقوع الرجس عنهم محالا (١) و هو انما يثبت فى حق المعصومين لاالزوجات لوقوع الذنب عنهن.

وايضاً المنفى فى الاية ماهية الرجس من حيث هى هى، اذالالف واللام اما للعموم كما عند بعض، اوللعهد، ولم يسبق ذكر الرجس ، اولتعريف الماهية والطبيعة، وانما يصح نفيها عند نفى كل الجزئيات وزوال الرجس بالكلية لايتصور بدون العصمة.

عدم دخول ازواج النبى (ص) فى اهل البيت

وقد تمسك «العلامة» فى عدم دخول الزوجات فى اهل البيت المذكور فى الاية بالاجماع المركب حيث قال : زوال الرجس هو العصمة ، فهى ، دالة على عصمة أهل البيت و كل من قال ذلك حصّر المراد فى «على وفاطمة وحسن وحسين» عليهم السلام ، فلو حمل على غيرهم لزم فرق الأجماع المركب(٢)

فما ذكره «البيضاوى» من ان تخصيص الشيعة اهل البيت بـ«فاطمة وعلى وابنيهما» لماروى انه عليه السلام خرج ذات غدوة وعليه «مرط مرجل» من شعر اسود فأتت فاطمة فادخلها فيه، ثم جاء على فأدخله فيه، ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه، ثم قال : « انما يريد الله ليذهب عنكم

---

(١) وهذا يدل على ان المؤلف حمل الارادة الواردة فى الاية على الارادة التكوينية وسيوافيك تصريحه فى الابحاث الاتية فان المقصود من الارادة الحتمية القطعية.

(٢) النهاية المقصد التاسع : مخطوط.

الرجس اهل البيت » (١) و الاحتجاج بذلك على عصمتهم ، و ـ كون اجماعهم حجة ضعيف ، لان التخصيص لا يناسب ما قبل الاية وبعدها :

والحديث يقتضى انهم اهل البيت لانه ليس غيرهم (٢) ضعيف مردود .

وايضاً اعتبار المناسبة بين هذه الاية والايات التى قبلها وبعدها يقتضى قصر الخطاب عليهن ، كما فى تلك الايـات ، فعلى هـذا لايحتاج الى العدول عن الخطاب المتناول لها حقيقة الى غيره.

مع انه لايحسن العدول بعد التصريح بالاسم فى قوله تعالى « قل لازواجك » و « يا نساء النبى » الى الابهام الموجب للتعظيم ، اعنى أهل البيت، على أن تذكير الضمير ـ اعنى عنكم ويطهركم ـ يمنع من دخولهن فيه .

لا يقال : تذكير الضمير يمنع عن قصر الخطاب عليهن لامـن دخولهن ، والمناسبة المذكورة بين تلك الايات دليل عليه.

لانا نقول : ان الخطاب المتناول للمذكر حقيقة لا يندرج فيه المؤنث الابدليل و لم يوجد ، واما دخول فاطمة عليها السلام فى ذلك فانما

---

(١) كتاب التاج الجامع للاصول ـ ٣٤٧ كتاب الفضائل

(٢) تفسير القاضى ناصر الدين البيضاوى ٢: ١٣٠

(٣) اى اعتبار المناسبة وان كان يقتضى قصر الخطاب لازواج النبى لكن العدول عن الخطاب المتناول بها الى غيره، قرينة على عدم اعتبار تلك المناسبة والا لم يعدل عن الخاب الى غيره فلاحظ .

هو بدليل ما تقدم من الوجوه ، بل لاخلاف فيه، ورعاية المناسبة بين الايات المقتضية لاخراج الكلام عن حقيقته الظاهرة ليس بلازم، كما صرح به بعض الاعلام، فلايكون دليلا بل ولا قرينة ايضاً على دخولهن فيه ،وارادة التغليب خلاف الظاهر، فما ذهب اليه صاحب المواقف(١) من منع كون فاطمة عليها السلام معصومة ، لان أهل البيت يتناول ازواجه واقربائه، ولم يكونوا معصومين بالاتفاق(٢) خيال فاسد واعتقاد باطل بل لعل في ذكر هذه الاية الدالة على عصمة اهل البيت عليهم السلام بين تلك الايات الواردة في ازواج النبى صلى الله عليه وآله تعريض عليهن»

و ايضاً يأبى عن دخول ازواجه صلى الله عليه وآله في ذلك ما قالوا في شأن نزولها : من ان ازواج النبى صلى الله عليه وآله سألته شيئاً من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة في النفقة، وتغايرن (٣) فاذى ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ووالى منهن وصعد الى غرفة فمكث فيها شهراً، فنزلت فيها آية التخيير و هي قوله تعالى : «يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحاً جميلا (٤).

ثم الرواية التى ذكرها البيضاوى على تقدير تسليم انها لايقتضى

---

(١) هو عضد الدين عبدالرحمن احمد الايجى القاضى (٧٠١-٧٦٥)

(٢) كتاب المواقف ٣ :٢٦٨

(٣) اى فسألت ام سلمة : سترا معلقاً، وسألت ميمونة حلة، وسألت زينب بنت جحش بردا يمانياً ... التبيان ٨ : ٣٣٤.

(٤) قال الطبرى : ان عايشة سألت رسول الله (ص) شيئا من عرض الدنيا اما زيادة في النفقه اوغيرذلك : تفسير الطبرى ٢١: ١٥٦ .

ان غيرهم ليس باهل البيت، لايقتضى ايضاً ثبوت الحكم المذكور فى الآية لغيرهم.

مع ما مر من رواية ام سلمة وغيرها الدالة.

فقد اتضح بما قررناه وجه دلالة الاية المذكورة على عصمة اهل البيت عليهم السلام من غير توقف فيها على امر خارج من الاجماع والرواية .

* * *

ملاك حجية اجماع اهل البيت

واما احتجاج اصحابنا بهذه الرواية على حجية اجماع أهلبيت نبينا صلى الله عليه وآله فانما هو فى مقابلة المنكرين لعصمتهم اذ بعد القول بعصمتهم لا حاجة الى بيان حجية اجماعهم ، و هو ظاهر بل لاوجه للتوقف على حصول اجماعهم (١).

نقد حجية اجماع الخلفاء

ثم تمسك القائلون بحجية اجماع الخلفاء الاربعة بـ«قوله صلى الله عليه وآله»:

---

(١) قد سقط هنا من النسخة التى تعرفت عليها فى التقديم ورقا واحداً بالقطع الصغير جداً والمظنون ان المؤلف قد أشبع فيه الكلام فى ان حجية قول أئمتنا ، لاجل عصمتهم عن الخطأ، لالاجل نفس اجماعهم على أمر وان الاستدلال باجماع اهل البيت لاجل التحفظ على الاصطلاح و المشاكلة فى الكلام و لعل القارى الكريم يقف على نسخة تامة فيرفع تلك النقيصة عن نسخته ، لكن الميسور لايسقط بالمعسور، وما لايدرك كله لايترك كله .

عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى (١).

والقائلون بحجية اجماع الشيخين تمسكوا ب«قوله صلى الله عليه وآله» : اقتدوا باللذين من بعدى ابى بكر وعمر (٢)

و اجاب عنهما « الشارح العضدى » بان الروايتين انما تدلان على اهلية الاربعة والاثنين لتقليد المقلد لهم لاعلى حجية قولهم على المجتهد.

مناظرة المأمون مع علماء العامة

و اعلم : ان الرواية الثانية و نظائرها ، مما يأتى قد ابطلهما «المأمون» حيث كان يتقرب بذلك الى الرضا عليه السلام فى مجادلة المخالفين فى الامامة فى التفضيل ، مع تصريحه عليه السلام لاصحابه الذين يثق بهم ، لاتغتروا منه بقوله: فمايقتلنى والله غيره، ولكنه لابدلى من الصبر حتى يبلغ الكتاب اجله .

روى الصدوق عليه الرحمة فى العيون(٣) عن اسحاق بن حماد ابن يزيد ، قال: جمعنا يحيى بن اكثم القاضى، وقال : قد امرنى المأمون بأحضار جماعة من أهل الحديث ، وجماعة من أهل الكلام والنظر ، فجمعت له من الصنفين زهاء اربعين رجلا ، ثم مضيت بهم فامرتهم

---

(١) سنن ابى داود ٢ : ١٠٦ وسنن الترمذى ٤: ١٥٠ وسنن ابن ماجة ١ المقدمة حديث ٤٢.

(٢) سنن ابن ماجة ١ : ٥٠ و سنن الترمذى ٣ : ١٢٩ ومسند احمد بن حنبل ٥ : ٣٨٢ .

(٣) عيون اخبار الرضا (ع) ٤: ١٨٣

بالكينونية في مجلس الحاجب لاعلّمهم بمكاناتهم ففعلوا، فاعلمته فامرني بادخالهم ففعلت فدخلوا وسلموا، فحدثهم ساعة وآنسهم، ثم قال: اني اريد ان اجعلكم بيني وبين الله في يومي هذا حجة، فمن كا حاقناً(١) اوله حاجة فليقم الى قضاء حاجته وانبسطوا وسلوا خفافكم، وضعوا ارديتكم، ففعلوا ما أمراو به.

فقال: ايها الناس انما استحضرتكم لاحتج بكم عندالله عزوجل فاتقوا الله وانظروا لانفسكم وامامكم، فلا تمنعكم جلالتي ومكاني من قول الحق حيث كان ورد، و الباطل على من أتى به، واشفقوا على انفسكم من النار، وتقربوا الى الله تعالى برضوانه وايثار طاعته، فما احد يتقرب الى مخلوق بمعصية الخالق الا سلطه الله عليه، فناظروني بجميع عقولكم اني ازعم ان علياً خير البشر بعد النبي، فان كنت مصيباً فصوبوا قولي، وان كنت مخطئاً فردوا علي، وهلموا فان شئتم اناسألتكم وان شئتم فأسئلوني، فقال له الذين يقولون بالحديث: بل نسئل فقال: هاتوا و قلدوا كلامكم رجلا منكم، فاذا تكلم فان كانت عند احدكم زيادة فليزدوان أتى بخلل فسددوه.

فقال قائل منهم: انما نحن نزعم ان خير الناس «ابوبكر» بعد رسول الله من قبل ان الرواية المجمع عليها (٢) جائت عن الرسول انه

---

(١) الحاقن من له بول شديد .

(٢) قال رسول الله(ص) اني لا ادري ما قدر بقائي فيكم فاقتداوا بالذين من بعدي واشار الى ابي بكروعمر . سنن ابن ماجة ١: ٥٠ وصحيح الترمذي ١٣: ١٢٩ ومسند احمد ٥: ٣٨٢.

قال: اقتدوا باللذين من بعدى«ابوبكر وعمر» فلما أمرنى النبى بالاقتداء بهما، علمنا انه لم يأمر بالاقتداء الا بخير الناس.

فقال المأمون : الروايات كثيرة ولابد من ان يكون كلها حقاً، او كلها باطلا ، او بعضها حقا و بعضها باطلا، فلو كان كلها حقاً ، كان كلها باطلا من قبل ان بعضها نقيض بعض ولو كان كلها باطلا كان فى بطلانها بطلان الدين ودروس الشريعة، فلما بطل الوجهان ثبت الثالث بالاضطرار وهو ان بعضها حق و بعضها باطل ، واذا كان كذلك فلا بد من دليل على ما يحق منه ليعتقد وينفى خلافه، فاذا كان دليل الخبر فى نفسه صحيحاً كان اول[اولى]ما اعتقد وآخذ به، و روايتك هذه من الاخبار التى ادلتها باطلة فى انفسها ، وذلك ان رسول الله ﷺ احكم الحكماء ، و اولى الحق بالصدق، وابعد الناس من الامر بالمحال . و حمل الناس على التدين بالخلاف ، وذلك ان هذين الرجلين لا يخلوان من ان يكونا متفقين من كل جهة او مختلفين ؟ فان كانا متفقين من كل جهة كان واحداً بالعدد والصورة والجسم وهذا معدوم بان يكون اثنان بمعنى واحد من كل جهة،وان كانا مختلفين فكيف يجوز الاقتداء بهما :

وهذا تكليف ما لا يطاق، لانك اذا اقتديت بواحد فقد خالفت الاخر، والدليل على اختلافهما ان أبابكر سبى اهل الردة، وردهم عمر احراراً (١) وأشار عمر الى ابى بكر بعزل خالد بقتله لمالك بن

---

(١) فى كتب ابى بكر الى قبائل العرب المرتدة ... وان يسبىء النساء والذرارى ... تاريخ الطبرى ٤ : ١٨٨٣ وتاج العروس ٢:٩.

نويرة(١) فأبى عليه، وحرم عمر المتعتين ولم يفعل ذلك ابوبكر (٢) و وضع عمر ديوان العطية (٣) و لم يفعل ذلك ابوبكر و لهذا نظائر كثيرة.

ثم قال الصدوق (عليه الرحمة): فى هذا فضل لم يذكره المأمون لخصمه ، وهو أنهم لم يرووا ان النبى ﷺ قال :«اقتدوا باللذين من بعدى ابى بكر وعمر» وانما رووا ابوبكر وعمر(٤) ومنهم روى ابابكر وعمر ، فلو كانت الرواية صحيحة لكان المعنى قوله بالنصب :«اقتدوا باللذين من بعدى كتاب الله والعترة يا ابابكر و عمر انتهى ، كلام الصدوق .

و لقائل ان يقول : هذه الرواية على تقدير صحتها تدل على امامة الاثنين دون الثلاثة اوالاربعة.

---

(١) وفيات الاعيان ٥ - ٦٦ -٦٧ وتاريخ الطبرى ٥،٦٧

(٢) فلما ولى عمر خطب الناس وقال... انهما كانتا متعتان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وانا انهى عنهما واعاقب عليهما: احدها متعة النساء.. والاخرى متعة الحج سنن البيهقى ٧ : ٢٠٦ وتفسير الطبرى ٥ : ١٣ وتفسير الفخر الرازى ٣: ٥٠ وتفسير الدر المنثور ٢ : ١٤٠.

(٣) عن ابى هريرة انه قدم عمر من البحرين ... فقال رجل ياامير المؤمنين انى رأيت هؤلاء الاعاجم يدونون ديواناً يعطون الناس عليه قال: فدون الدواوين... سنن البيهقى ٦: ٣٥٠

(٤) عن حذيفة ابن ايمان ان النبى(ص) قال اقتدوا من بعدى ابو بكر وعمر . مسند احمد بن حنبل ٥: ٣٨٢ .

و ايضاً بنائاً على هذه الرواية لا يحتاج الى تعيين احدهما فى وقت والاخر فى وقت آخر.

وايضاً لوكانت هذه الرواية مجمعاً عليها لمااحتاجوا فى اثبات خلافة ابى بكر وعمر الى تجشم الاستدلال على خلافتهما باخبار الاحاد وغيرها).

ثم قال آخر من اصحاب الحديث : فان النبى قال : لو كنت متخذاً خليلا لاتخذت ابابكر خليلا(١) قال المأمون: هذا مستحيل من قبل روايتكم انه ﷺ آخى بين أصحابه واخر علياً عليه السلام فقال له فى ذلك ما اخرتك الا لنفسى(٢) واى الروايتين تثبت بطلت الاخرى.

(ولقائل ان يقول ــ : هذه الرواية على تقدير صحتها ــ لعل مراده ﷺ ان أخذى أحداً خليلا لو كان برأيى واختيارى لاخترت أبابكر بالخلة على ما هو اعتقادكم فيه، ولكن هذا بامر الله تعالى واختياره ، وانما اخذت علياً خليلا بأمر من الله واختياره)

وقال الاخر : ان علياً قال على المنبر خير هذه الامة بعد نبيها ابوبكر وعمر(٣).

فقال المأمون : هذا مستحيل من قبل ان النبى ﷺ لو علم انهما

---

(١) سنن ابن ماجه ١ : ٤٨ ومسند احمد بن حنبل ٥ : ٢٠٢-٢٥٤-٣٣٥- ٣٣٧ و٤ : ١٤٣.

(٢) سنن ابن ماجه٥ : ٣٠٠ .

(٣) عن عبدالله بن سلمة ، قال : سمعت علياً يقول: خير الناس بعد رسول الله(ص) ابوبكر،وخير الناس بعدابى بكر عمر، سنن ابن ماجه١ :٣٩

افضل ما ولى عليهما عمرومرة ابن العاص (١) ومرة اسامة بن زيد(٢)

ومما يكذب هذه الرواية قول علي عليه السلام: لما قبض النبي صلى الله عليه وآله وأنا اولى بمجلسه ، و هو مني بقميصي ، و لكن خشيت ان يرجع الناس كفاراً .

وقوله عليه السلام انـّى يكونان خيراً مني وعبدت الله عزوجل قبلهما وعبدته بعدهما.

(ولقائل ان يقول : هذه الرواية على تقدير صحتها، لعل مراده عليه السلام بقوله : «خير هذه الامة على سبيل الاستفهام الانكارى ، كما يدل عليه الخطبة الشقشقية الدالة على تفضيح حالهما وشناعة افعالهما وغيرها من خطبه عليه السلام (٣)) .

وقال آخر : ان ابابكر اغلق بابه وقال : هل من مستقيل فاقيله ؟

فقال علي عليه السلام : قدمك رسول الله فمن ذا يؤخرك (٤)

فقال المأمون ، هذا باطل من قبل ان علياً قعد عن بيعة ابي بكر (٥)

ورويتم انه قعد عنها حتى قبضت فاطمة عليها السلام (٦)

---

(١) عن ابن عثمان النهدي، عن عمر بن العاص : ان رسول الله (ص) استعمله على جيش ذات السلاسل... صحيح مسلم ٧ : ١٠٩ و سنن الترمذي ٥ : ٣٦٤ واسد الغابة ٤: ١١٦.

(٢) الغزوة التي ولاها اسامة ابن زيد. اسد الغابة ١ : ٦٦.

(٣) نهج البلاغة / ٤٨.

(٤) الامامة والسياسة ١ : ١٦-

(٥) تاريخ الطبري ٤: ١٨٢٥ والامامة والسياسة ١:١١

(٦) الامامة والسياسة ١ : ١٤.

و انها اوصت ان تدفن ليلا ، ولايشهدا جنازتهما (١) .

ووجه آخر وهو ان كان النبيﷺ استخلفه فكيف كان له ان يستقيل : و يقول للانصار : « قد رضيت لكم ، هذين ابـا عبيدة وعمر »(٢)

(ولقائل ان يقـول : ـ هذه الرواية (الاستقالة) على تقدير صحتها تدل على تردده فى أمره ، او الندم عليه و قوله عليه السلام : « بتقديم رسول الله صلى الله عليه و آله اياه » انما هوعلى اعتقاد من قدمه عليه عليه السلام اوتعريض عليه) وقال آخر : ان عمروبن العاص قال: يا رسول‌الله من أحب‌الناس اليك؟ فقال : عايشة فقال: ومن الرجال؟ فقال ﷺ ابوها (٣).

فقال المأمون : هذا باطل من قبل انكم رويتم : ان النبى ﷺ وضع بين يديه طائر مشوى فقال : اللهم ائتنى باحب خلقك اليك فكان علياً (٤) .فأى روايتكم‌تقبل.

---

(١) تاريخ الطبرى ٤: ١٨٢٥ .

(٢) فى‌الامامةوالسياسةهكذا: وليتنى‌يوم‌السقيفة‌بنوساعدة كنت ضربت على يد أحد الرجلين أبى‌عبيدة أوعمر، فكان هو الامير وكنت انا الوزير. الامامة والسياسة ١ :١٨ .

(٣) صحيح مسلم ٧: ١٠٩ وسنن الترمذى٥ :٣٦٤ .

(٤) عن انس قال: كان‌عند النبى (ص) طير فقال !اللهم ائتنى باحب خلقك اليك يأكل معى هذا الطير فجاءعلى فأكل معـه سنن الترمـذى ٥ ٣٠٠ .

(ولقائل ان يقول : هذه الرواية على تقدير صحتها تكون دليلا على صحة دعوى عائشة ، بل وعلى تقديمها على الخلفاء في الخلافة لو كانت المحبة دليلا على الامامة ؟!) .

و قال آخر : فان علياً قال : من فضلني على ابي بكر و عمر جلدته حد المفتري (١) .

قال المأمون : كيف يجوز ان يقول علي عليه السلام اجلد الحد على من لم يجب عليه الحد ؟ فيكون متعدياً لحدود الله عزوجل ، عاملا بخلاف امره، وليس تفضيل من فضله عليهما فرية .

وقد رويتم عن امامكم انه قال : «وليتكم ولست بخيركم» (٢)

فأي الرجلين أصدق عندكم ابوبكر على نفسه ، او علي على ابي بكر؟ مع تناقض الحديث في نفسه، ولابد له في قوله من ان يكون صادقاً او كاذباً، فان كان صادقاً فانّى عرف ذلك؟ أبوحي؟ فالوحي منقطع اوبالظن ؟ فالمتظني متحير، فان كان غير صادق فمن المحال ان يلي أمر المسلمين، ويقوم باحكامهم ، ويقيم حدودهم كذاب !

(ولقائل ان يقول : هذه الرواية على تقدير صحتها ـ لعل مراده عليه السلام : ان من فضلني عليهما بمعنى ان من اعتقد امامتهما ايضاً و لكن فضلني عليهما في ترتيب الامامة حكمه كذا) .

وقال آخر : ان النبي صلى الله عليه وآله قال : «ابوبكر و عمر سيدا كهول

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي / ٤٦.

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ١٤٢٩ .

اهل الجنة » (١) .

فقال المأمون : ان هذا الحديث محال، لانه لا يكون فى الجنة كهل ، وروى ان اشجعية كانت عند النبى ﷺ فقال : «لاتدخل الجنة عجوز » فقال ﷺ : لها ان الله عزوجل يقول : « انا انشائناهن انشائاً فجعلناهن ابكاراً عربا اترابا (٢).

فان زعمتم ان ابابكر ينشأ شاباً اذادخل الجنة ، فقد رويتم ان النبى ﷺ قال : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة من الاولين والاخرين وابوهما خير منهما (٣).

(ولقائل ان يقول : هذه الرواية على تقدير صحتها ـ ان صلح اولها فسد آخرها ، وان صلح آخرها فسد أولها ، لان وجود الكهولة يستلزم عدم الدخول فى الجنة ، و دخولهما فى الجنة يستلزم عدم كهولتهما فيها ، اذ منشأ الكهولة انما هو ضعف البنية و القوى و هما منفيان فى الجنة، فصحة هذه الرواية تدل على فساد عاقبتهما) .

و قال آخر : فقد جاء ان النبى ﷺ قال : لو لم ابعث لبعث عمر (٤) .

قال المأمون : هذا محال ، لان الله عزوجل يقول : « انا اوحينا

---

(١) سنن ابن ماجه ١:٣٦ وسنن الترمذى ٥ : ٢٧٢ والامامة والسياسة ١ : ١ .

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ١ : ١٤٨، سورة الواقعة (٥٦) : ٣٧

(٣) تاريخ بغداد ١ : ١٤٠ .

(٤) عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله (ص): و لوكان نبى بعدى لكان عمر بن الخطاب: سنن الترمذى ٥ : ٢٧١ .

اليك كمااوحينا الى نوح والنبيين من بعده »(١) وقال عزوجل:«واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم و موسى و عيسى ابن مريم « (٢) فهل يجوز ان يكون من لم يؤخذ منه ميثاقه على النبوة مؤخراً .

(ولقائل ان يقول :هذه الرواية على تقدير صحتها ـ لعل مراده ﷺ انه لو لم ابعث رحمة للعالمين لبعث عمر غضباً لهم، يامن سبقت رحمته غضبه).

وقال آخر : ان النبي ﷺ نظر الى عمر يوم عرفة فتبسم، وقال ان الله تعالى باهى بعباده عامة وبعمر خاصة(٣) .

فقال المأمون : هذا مستحيل من قبل ان الله تعالى لم يكن ليباهى بعمر ويدع نبيه ﷺ فيكون عمر فى الخاصة، والنبى ﷺ فى العامة ، وليست هذه الرواية باعجب من روايتكم : ان النبى ﷺ قال : دخلت الجنة فسمعت خفق نعلين فاذا بلال مولى ابى بكر، فقد سبقنى الى الجنة (٤) .

وانما قالت الشيعة: على عليه السلام خير من ابى بكر وعمر ، فقلتم : عبد ابى بكر خير من رسول الله؟ لأن السابق افضل من المفضول(المسبوق)!

---

(١) سورة النساء (٤) : ١٦٤ .

(٢) سورة الاحزاب (٣٣) : ٧ .

(٣) اسد الغابة ٤ : ٦٤ وتاريخ الخلفاء للسيوطى/ ١٩٩ .

(٤) اسد الغابة ١ : ٢٠٨ والتاج الجامع للاصول ٣ : ٣٦٤-٣١٢ وسنن الترمذى ٥ : ٢٨٢ .

و كما رويتم ان الشيطان يفر من ظل عمر و القى على لسان نبى الله « فانهن الغرانيق العلىٰ » ففر من عمر ، و القـى على لسان النبى الكفر ! ! (١) .

(ولقائل ان يقول: هذه الرواية على تقدير صحتها ـ لعل تبسمه ﷺ بعد النظر الى عمر للتعجب من فعله وانفاذ حيلته؛ ثم مباهاته ﷺ بعمر خاصة، اما من جهة وجوده، اومن حيث عمله، وعلى اى التقديرين لا مباهات فيه ، اما من جهة وجوده فلطر و خباثة الكفر عليه مـدة ، و اما من جهة عمله فلنقصانه به عمن لم يتطرق اليه الكفر اصلا وهو ظاهـر .

واما الرواية التى رووها : من ان الشيطان يفر من ظل عمر » فلقائل ان يقول : لعل فرار الشيطان من ظل عمر من جهة خوف منه ؟ بان يوسوس فيحتال، . و يحل عليه غضب فى الدنيا زيادة على عذابه فى الاخرة ، فيتأذى به الى يوم يبعثون، وان كان من المنظرين اليه ، اذ وسوسة شيطان الانس اقوى واعظم من وسوسة شيطان الجن، كما نطق به الكتاب .

واما قول المأمون: من ان الشيطان القى على لسان نبى الله «فانهن الغرانيق العلى » .

---

(١) ان الشيطان يفرمن ظل عمر التاج الجامع للاصول ٣ : ٣١۴ ، و الغرنيق بضم الغين و فتح الراء : من طير الماء طويل العنق و الجمع الغرانيق .

قال الشيخ ابوعلي الطبرسي ـ طاب ثراه ـ في جوامع الجامع روى ان السبب في نزول آية « و ما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله» الاية (١) ان النبي ﷺ تلا سورة «والنجم» وهو في نادي قومه، فلما بلغ قوله تعالى « ومناة الثالثة الاخرى » (٢) القى الشيطان في تلاوته « تلك الغرانيق العلى و ان شفاعتهن لترجى » فسرّ بذلك المشركون ، فنزلت تسلية له ﷺ انتهى (٣) والغرانيق: جمع غرنوق ، وهو الشاب الممتلي ريا)

وقال آخر من اصحاب الحديث : قد قال النبي ﷺ لو نزل العذاب ما نجى الا عمر بن الخطاب.

قال المأمون : هذا خلاف الكتاب نصاً، لان الله تعالى يقول: «وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم» (٤) فجعلتم عمر مثل النبي ﷺ .

(ولقائل ان يقول : هذه الرواية ـ على تقدير صحتها ـ تدل على خلافة عمر فوق نبوة النبي ﷺ ، والنبي ﷺ وابوبكر بمرتبة ، فعمر يكون افضل منه ﷺ ! ! والاعتقاد به كفر) و قال الاخر : فقد شهد النبي ﷺ لعمر بالجنة في عشرة من الصحابة (٥) .

فقال المأمون: لو كان هذا كما زعمت لكان عمر لا يقول لحذيفة

---

(١) سورة الحج (٢٢) : ٥٢ .

(٢) سورة النجم (٥٣) : ٢٠ .

(٣) جوامع الجامع / ٣٠٢ .

(٤) سورة الانفال (٨) : ٣٣:

(٥) صحيح الترمذي ١٣ : ١٨٣ .

نشدتك بالله أمن المنافقين أنا ؟ ! ! فان كان قال النبى ﷺ : « انت من اهل الجنة» ولم يصدقه حتى زكاه حذيفة، فصدق حذيفة ولم يصدق النبى ﷺ فهذا على غير الاسلام ، وان كان قد صدق النبى ﷺ فلم يسأل حذيفة فهذان الخبران متناقضان فى انفسهما ؟

(ولقائل ان يقول : هذه الرواية ـ على تقدير صحتها ـ تدل على ان العشرة التى من جملتهم طلحة و الزبير ، و اضرابهما افضل . ثم هذه الافضلية ان اقتضى التقديم والامانة فتكون العشرة ائمة ، وهذا خلاف ما عليه الامة) فقال: الاخر : قد قال النبى ﷺ : وضعت فى كفة الميزان ووضعت امتى رجحت بهم ثم وضع فى مكانى ابوبكر فرجح بهم ، ثم عمر فرجح بهم ، ثم رفع الميزان .

فقال المأمون: هذا محال من قبل انه لايخلو من ان يكون اجسامهما او اعمالهما ، فان كانت الاجسام فلا يخفى على ذى روح انه محال، لانه لايرجح اجسامهما واجسام الامة وان كانت افعالهما فاتم تكن بعد فكيف ترجح بما ليس وخبرونى بم يتفاضل الناس .

فقال بعضهم: بالاعمال الصالحة ، قال : فمن فضّل صاحبه على عهد رسول الله ، ثم ان المفضول عمل بعد وفاة النبى باكثر من عمل الفاضل على عهد النبى ﷺ ايلحقه ؟ فان قلتم : اوجدتكم فى عصرنا هذا من هو اكثر جهاداً وحجاً وصوماً وصلاة وصدقة ، قالوا :صدقت لايلتحق فاضل دهرنا بفاضل عصر النبى ﷺ.

(ولقائل ان يقول: هذه الرواية ـ على تقدير صحتها لعل مراده ﷺ برجحانه على الامة ، رجحانه ﷺ عليهم من حيث الاعمال

الحسنة ، ورجحانهما عليهم من حيث الاعمال السيئة).

قال المأمون : فانظروا فيما روت ائمتكم الذين اخذتم عنهم اديانكم فى فضائل على عليه السلام، وقالوا : اليهما ما رووا فى فضائل تمام العشرةالذين شهدوا لهم بالجنة، فان كان جزئاً من اجزاء كثيرة، فالقول قولكم، وان كانوا اقدرووا فى فضائل على عليه السلام اكثر فخذوا عن ائمتكم ماروُوا، ولا تتعدوا ، قال : فاطرق القوم جميعاً.

فقال المأمون: مالكم سكتم؟ قالوا: قد استقصينا انتهى كلامهم

واذ قد عرفت حال تلك الاخبار، فالعجب من الشارح العضدى كيف تلقى بالقبول الروايةالتى ابطلها المأمون وانكرها على متمسكها كالرواية التى تمسك بها القائلون بحجية اجماع الشيخين، وتصدى الى جوابها بحملها على مامر من غير ابطاله لها بما ابطلها به المأمون ونحوه .

* * *

فى اثبات عصمة اهل البيت

عود الى بدأ

ومما ذكرنا ـ وقررنا به الاية المذكورة ـ قد ظهر انهذه الاية دليل واضح على عصمة اهل البيت عليهم السلام ، وعلى كون اجماعهم حجة مع قطع النظر عن الاستدلال عليها بدليل اللطف : وهو انه كما ان وجود الامام عليه السلام لطف كذا عصمته ايضاً لطف ، بل تصرفه ايضاً لطف آخر كما قال المحقق الطوسى فى تجريد الاعتقاد : وجـوده لطف

وتصرفه لطف آخر وعدمه منا (١)

و قد نسب البيضاوی : الاحتجاج بهذه الاية علی عصمة اهـل البيت، و كون اجماعهم حجة الى الشيعة(٢).

*　　*　　*

المراد من ارادة الله سبحانه

ثم اعلم : ان ارادة الله تعالى فی ايجاد الممكنات هی الداعی، والمراد بالداعی: هو العلم بالاصلح، كما هو مختار المحقق الطوسی و جماعة من المعتزلة ، خلافاً للاشاعرة حيث ذهبوا الى انها مغايرة للعلم والقدرة وسائر الصفات .

واستدل المحقق الطوسی- عليه الرحمة- على ان الارادة ليست امراً آخر سوى الداعی ، بانها لو كانت امراً آخر سواه لزم التسلسل او تعدد القدماء (٣) .

فان هذا الامر ان كان قديماً لزم تعدد القدماء، وان كان حادثا احتاج الى تخصيص وجوده الى امر آخر و لزم التسلسل ، فالمراد بالارادة فی الاية المذكورة هو الداعی الذی هو العلم بالاصلح ، وهو عين ذاته تعالى وهو المرجح .

---

(١) شرح تجريد الاعتقاد / ٢٨٥ .

(٢) تفسير انوار التنزيل للشيخ ناصر بن عبدالله البيضاوی(المتوفى عام- عام ٥٨٦) فی تفسير آية التطهير قال والاحتجاج بذلك على عصمتهم...

(٣)شرح تجريد الاعتقاد ٢٢٣ .

قال المحقق اللاهيجى : فى حاشيته على شرح التجريد عند شرح قول المصنف « و المختار يرجح احد مقدوريه ، لالمرجـح » هذا اشارة الى انهذا الجواب ليس مرضياً عنده، والجواب المرضى هو انالمرجح هو العلم بالاصلح الذى هوعين ذاته، والمرادبالاصلح ما هو الاصلح بالمخلوقات فلا يلزم استكماله تعالى بامر زائد علـى ذاته انتهى (١) .

فعصمتهم التى هى متعلق ارادته تعالى، لكونهامما هوالاصلح لهم و لغيرهم ، ليحصل الوثوق الى اقوالهم ، وافعالهم يكون لطفاً ، وبهذا يظهر ان هذه الارادة من الله تعالى واجبة ، لان اللطف بمايمكن تحصيل الغرض به واجب عليه تعالى لا كل مايمكن انيكون لطفاً واجب على الله تعالى وبهذايندفع مااورده الفخر الرازى وصاحب المواقف(١) على القائلين بوجوب اللطف ، مـن ان دليلهم الذى تمسكوا به فى وجوب اللطف منقوض، فانا نعلم انه لو كان فى كل عصر نبى،وفى كل بلد معصوم يأمر بالمعروف ، او ينهى عن المنكر،وكان حكـام الاطراف مجتهدين متفقهين، لكان لطفاً وانهم لايوجبونه على الله تعالى بل يجزمون بعدمه فلايكون اللطف واجباً عليه تعالى ولايتخلف مراده تعالى فى افعاله«لما عرفت من ان المراد بارادته تعالى هوالداعى وتحقق الداعى الذى هوالعلم بالاصلح كاشف عن خلوه من وجود المفسدة،

---

(١)شوارق الالهام فى شرح تجريد الكلام الجزء الثانى الفصل الثالث من المقصد الثانى للمولى عبد اللرزاق اللاهيجى ١٠٥١

(٢) المواقف ٣ : ٢٦٤ .

ووجود شرائط المصلحة: فتكون ارادته تعالى علة تامة لحصول مراده تعالى .

* * *

الارادة الحتمية وغير الحتمية.

و قد ورد في رواية اصحابنا عن ائمتهم عليهم السلام « ان لله ارادتين ومشيتين : ارادة حتم » (١).

اى : ارادة حتمية ومشيئة قطعية لايجوز تخلف المراد عنها كما هو شأن ارادته ومشيئته بالنسبة الى افعاله تعالى «وارادة عزم»

اى : ارادة عزمية غير حتمية ومشيئة غير قطعية يجوز تخلف المراد عنها، كماهو شأن ارادته ومشيئته بالنسبة الى افعال العباد كما ذكره الفاضل المجلسي (قدس سره) في شرح هذه الرواية (٢) .

* * *

ارادة الله لرفع الرجس تلازم العصمة

فالله سبحانه اراد بارادته الازلية الذاتية ، رفع الرجس الذى يتحقق فى نوع الانسان ، او دفعه عنه بالنظر اليهم عليهم السلام بافاضة صفة

---

(١) اصول الكافى ١ : ١٥١ لمحمد بن يعقوب الكلينى -٣٢٨.

(٢) مرآة العقول فى شرح اصول الكافى ١ : ١٠٤ - ١٠٦ للعلامة محمد باقر بن محمد تقى المجلسى (١٣٠٧- ١١١١)

العصمة اليهم نظراً الى علمه تعالى باستعدادهم لاستحقاق ذاتهم الشريفة لها ، فلا يلزم المجازفة المنافية للحكمة فى صقع الربوبية الالهية القدسية هذا بخلاف ارادة الله تعالى من الكافر الايمان. وكذا سائر التكاليف المأمور بها .

فان الله تعالى وان كان قد امر الكافر بالايمان وغيرها من التكاليف الشرعية، وكل من امر بشيء يكون مريداً له، لكنها-التكاليف-ليست فعلا له تعالى بل لعباده بخلاف اذهاب الرجس ونحوه مما يكون فعلا له سبحانه، فيجب وقوعها كما عرفت، فيكون الرجس مرتفعاً عنهم(ع) بالكلية، وهو معنى العصمة كما مر ، فلايرد : ان الاية المذكورة تدل على أنه ما اراد الله تعالى ان يزيل الرجس عن أحد الاعن أهل البيت عليهم السلام، لكنه غير جائز لان الله تعالى اراد زوال الرجس عن الكل (١) لانه ان اراد بقوله ان الله تعالى اراد زوال الرجس عن الكل، انه من

---

(١) ما هو المهم فى توضيح مفاد الاية ، تحقيق معنى الارادة فى قوله سبحانه : انما يريد الله ليذهب» فلو كانت الارادة الواردة فى الاية ، ارادة تكوينية التي لاتنفك عن المراد، يلزم الجبر و يستلزم عدم كون هذا الرفع كمالا لائمتنا اذ عندئذ يكونون ملجأين بترك المعاصى والخطا،وان كانت الارادة تشريعية ، و هى لاتختص بهم لانه سبحانه اراد ترك الرجس عن عامة المكلفين بلا خصوصية لواحد منهم .

و لما اجمل المؤلف الكلام حول هذا الاشكال و دفعه قمنا بملحق بعد ختام الكتاب و سوف يوافيك الملحق بنصه و يقف على مدى ضالة الاشكال ووضوح دفعه « جعفر السبحانى »

قبيل ارادة الايمان مثلا من الكافر ؟ فقد عرفت ان ارادته تعالى بهـذا المعنى لايستلزم وقوع مراده تعالى، وان اراد به انه تعالى ارادان يزيل الرجس عن الكل كما أراد فى اهل البيت عليهم السلام ؟ فهو ظاهر الفساد(١) ومن هنا ظهر وجه حصر الارادة المذكورة المستفادة من كلمة «انما» اهل البيت عليهم السلام ، والحصر اضافى بالنسبة الى هذه الامة، فلايلزم عدم عصمة غيرهم من الانبياء و اوصيائهم عليهم السلام .

*　*　*

العصمة لاتنافى القدرة على فعل المعصية

و أعلم ان القائلين بالعصمة قد اختلفوا فى ان المعصوم هـل يتمكن من فعل المعصية اولا، ذهب المحققون ومنهم المحقق الطوسى (عليه الرحمة) الى الاول حيث قال: «ولاينافى العصمة القدرة»(٢) والا لما

---

(١) محصل الجواب ان الله سبحانه اراد زوال الرجس عن أهل البيت بالارادة الحتمية نظراً الى علمه تعـالى باستعدادهم لاستحقاق ذاتهم به وبافاضة العصمة اليهم، فلا تلزم المجازفة المنافية للحكمة فى صقع الربوبية وهو سبحانه اراد ذلك ايضاً من غيرهم بالارادة غير الحتمية كارادته الايمان من الناس التى ربما تسمى فى الاصطلاح بالارادة التشريعية، والاولـى من الارادين لاتنفك عن المراد بخلاف الثانية .

و لما كانت هناك شبهة اخرى من انه لو كانت الارادة هنا تكوينية قطعية حتمية لما تعد العصمة حينئذ كمالا، قمنا بدفعه فـى الملحق بعـد ختام الكتاب : «جعفر السبحانى»

(٢) شرح تجريد الاعتقاد / ٢٨٧ .

استحق الثواب على الاجتناب عن المعاصي ولما كان مكلفاً.

والقائلون بعدم تمكن المعصوم من المعصية فرقتان:

احدهما قالوا :انه يكون مختصاً في بدنه ، او في نفسه بخاصية تقتضي امتناع اقدامه على المعاصي .

وثانيهما قالوا : انه يكون مساوياً لغيره في الخواص البدنية ، والنفسانية لكن العصمة فيه انما يكون بالقدرة على الطاعة ، و بعدم القدرة على المعصية.

ومحصل ماذكره المحققون: ان القدرة والتمكن من فعل المعصية للمعصوم ذاتية والعصمة مانع شرعي، ولا منافاة بين عدم القدرة الشرعية والقدرة الذاتية ، هذا بخلاف القول بتكليف الكفار، فان الكفار عندنا وان كانوا مكلفين بالفروع ايضاً في حال كفرهم، لكنه لا مانع لهم من ذلك لا عقلا ولا شرعاً ، بخلاف ما لو كانوا مكلفين بها بشرط الكفر للتضاد بينهما حينئذ، وذلك لتمكنهم من خلع لباس الكفر عن نفسهم، والتحلي بحلية الايمان الذي هو شرط صحة العبادة، لا شرط التكليف قال الله تعالى: «فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله» (١).

قال في الجوامع : اى خلقهم قابلين للتوحيد و دين الاسلام وغير آبين عنه ولامنكرين حتى لو تركوا لما اختاروا ديناً آخرومن

---

(١) سورة الروم (٣٠) : ٣٠ .

غوى منهم فباغواء شيطان الجن والانس (١).

*　　*　　*

ماهو معنى الايمان

ولما انجر الكلام الى هذا المقام فلابأس ان نشير الى الاقوال فى حقيقة الايمان، و الى مقامه ، ومراتبه التى أشار اليها اهل المعرفة والعرفان .

فنقول : الايمان فى اللغة « التصديق مطلقا » قال الجوهرى : الايمان التصديق، ومنه قوله تعالى حكاية عن اخوة يوسف عليه السلام «ما انت بمؤمن لنا»(٢) اى مصدق لما حدثناك.

و اما فى الشرع : فقد اختلف العلماء فيه، والمحكى عن اكثر السلف، الايمان : هو الاعتقاد بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان، و هو المنقول عن الشيخ المفيد من متقدمى اصحابنا .

وقال المحقق الطوسى (عليه الرحمة) فى التجريد (٣) و كذا العلامة فى المنهاج ونهج المسترشدين.

ان الايمان هو التصديق بالقلب و اللسان معاً وهو المنقول عن المحدثين وبعض السلف وعند الاشاعرة الايمان: هو التصديق بالرسول فيما علم مجيئه ضرورة مفصلا واجمالا فيما علم اجمالا واستقربه شارح

---

(١) جوامع الجامع / ٣٥٩ .

(٢) سورة يوسف (١٢) : ١٧ .

(٣) شرح التجريد / ٣٣٩ .

نهج المسترشدين من اصحابنا (١) .

قال في الجوامع : الايمان هو التصديق مع الثقة وطمأنينة النفس والاسلام: الدخول في السلم والخروج من ان يكون حرباً للمؤمنين باظهار الشهادتين ، الاترى الى قوله تعالى « ولما يدخل الايمان في قلوبكم» (٢) .

قال الشهيد (قدس سره) في المسالك : الايمان يطلق على معنيين عام وخاص فالعام : التصديق القلبي بما جاء به النبي ﷺ ، والاقرار باللسان كاشف عنه ، وهو اخص من الاسلام مطلقا ، وهذا المعنى معتبر عند اكثر المسلمين ، والخاص قسمان احدهما : انه كذلك مع العمل الصالح ، بمعنى كون العمل جزءاً منه ، وصاحب الكبيرة عليه ليس بمؤمن وهو مذهب الوعيدية ، وقريب منه قول المعتزلة : بان للفاسق منزلة بين المنزلتين ، والثاني : هو اعتقاد الولاية للاثني عشر اماماً .

وهذا المعنى المتعارف بين الامامية انتهى كلامه اعلى الله مقامه (٣) فالايمان عند الاولين مركب من الاجزاء الثلاثة المذكورة ، وعند المحقق الطوسي ومن تبعه مركب من جزئين : التصديق القلبي ،

---

(١) شرح نهج المسترشدين / ٢٠٩ وكتاب ارشاد الطالبين شرح نهج المسترشدين للفاضل المقداد / ٢١١ .

(٢) جوامع الجامع ٤٥٩ ، سورة الحجرات (٤٩) : ١٤ .

(٣) مسالك الافهام في شرح الشرائع للشهيد الثاني (٩١١-٩٦٦) ١ : ٣٤٩ «كتاب الوقف» .

والتصديق اللساني ، وعند الاخرين بسيط ، وعلى الاول ينتفي بانتفاء احد الاجزاء الثلاثة ، وعلى الثاني بانتفاء احد الجزئين ، وعلى الثالث ظاهر .

ما معنى الاسلام

واما الاسلام : فالذي يستفاد من بعض الاخبار هو التصديق بالله تعالى ورسوله ﷺ ، ومن بعضها انه مجرد الاقرار باللسان ، ومن بعض آخر منها انه التصديق والشهادتان معاً مجرداً عن الولاية او معها ، كما قال الفاضل المازندراني في شرح اصول الكافي بعد ذكر الاخبار الواردة في هذا الباب . ظاهر هذه الاخبار صدق الاسلام على مجرد الاقرار اللساني ، وعلى مجرد التصديق وعلى كليهما مجرداً عن الولاية او معها ، وصدق الايمان على التصديق بجميع ماجاء به النبي ﷺ الداخل في الولاية عمل بما يقتضيه التصديق ام لا ، وان كان عند اهل البيت عليهم السلام المقرون بالعمل (١) .

قال المحقق الاردبيلي (طاب ثراه) في آيات الاحكام في تفسير قوله تعالى «ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا . . . » (٢) فيها دلالة على قبول الايمان ، ممن قال

---

(١) شرح اصول الكافي لملا صالح المازندراني ٣١٨/ عن محمد بن مسلم ، عن احدهما (ع) قال : الايمان اقرار وعمل ، والاسلام اقرار بلاعمل ، اصول الكافي ٢ : ٢٤ .

(٢) سورة النساء (٤) : ٩٤ .

بلفظه من غير تعرض له انه مكره او قاصد لذلك ، وهل هو حقيقة فيه ام لا ؟ .

ثم قال : وايضاً تدل على عدم اعتبار الدليل فى الايمان ، وعلى عدم اعتبار العمل فيه، وعلى انه يكفى لصدقه مجرد الشهادتين ، بل القول له بانه ليس بمؤمن منهى فافهم انتهى (١) .

ولعل مراده (طاب ثراه) من كفاية مجرد الشهادتين فى صدق الايمان ان اطلاق المؤمن عليه على طريق المجاز ، والمعنى لست مسلماً لانه قد صرح بمنع ترادف الايمان للاسلام .

قال : الاصل والاستصحاب عدم الخروج عن معناه اللغوى فانه فيها بمعنى التصديق اتفاقاً على ما قالوه ، ومعلوم ان الخروج عنه الى التصديق والاقرار والاعمال يحتاج الى دليل اقوى ، بخلاف التصديق الخاص ، فانه بعض افراد معناه اللغوى انتهى (٢) .

قال الشهيد فى الروضة البهية : الاسلام هو الاقرار بالشهادتين مطلقاً على الاقوى (٣) ثم هيهنا مذاهب اخر ، منها ان الايمان : كلمتا الشهادتين ، ومنها انه : اعمال الجوارح ، ومنها انه : الطاعات باسرها فرضاً او نفلا ، ومنها انه : الطاعات المفروضة من الافعال والتروك وهو المنقول عن اكثر المعتزلة .

* * *

---

(١) زبدة البيان فى احكام القرآن للمقدس الاردبيلى احمد بن محمد (-٩٩٣) /٣١٢ .

(٢) زبدة البيان /٩ .

(٣)

الايمان تصديق خاص

واحتج شارح نهج المسترشدين بان الايمان لغة : التصديق ، وشرعاً : التصديق لاى تصديق كان بل تصديق الرسول ﷺ فى كل مـا علم بالضرورة مجيئه به ، ويكون النطق باللسان مبيناً لظهوره ، والاعمال الصالحة ثمرات مؤكـدة له ، ويدل عليه ايضاً قوله تعالى «اولئك كتب فى قلوبهم الايمان» (١) وقوله تعالى «ولما يدخل الايمان فى قلوبكم» (٢) «وقلبه مطمئن بالايمان» (٣) وغير ذلك من الايات الدالة على الختم والطبع على القلوب ، (٤) .

واحتج المحقق الطوسى بقوله تعالى «وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم» (٥) فان الله تعالى قد اثبت للكفار الاستيقان النفسى ، وهـو التصديق القلبى ، فلوكان الايمـان هو التصديق لزم اجتمـاع الكفر والايمان ، ولاشك انهما متقابلان ، وبقوله تعالى «قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا (٦) .

ويدل عليه قوله تعالى «ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم

---

(١) سورة المجادلة (٥٨) : ٢٢ .

(٢) سورة الحجرات (٤٩) : ١٤ .

(٣) سورة النحل (١٦) : ١٠٦ .

(٤) مثل قوله تعالى «قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا» سورة الحجرات (٤٩) ١٤ .

(٥) سورة النمل (٢٧) : ١٤ ، شرح التجريد للعلامة / ٣٣٩ .

(٦) سورة الحجرات (٤٩): ١٤، شرح تجريد الاعتقاد للعلامة ٣٣٩

الآخر ومـاهم بمؤمنين (١) فانه قد اثبت سبحانه فى هاتين الآيتين «التصديق باللسان ، ونفى الايمان» فعلم ان الايمان ليس هو التصديق فقط ، .

والحق ان الآيات فى هذا الباب متعارضة ، والترجيح لايخلو عن اشكال ، لكن اصالة عدم النقل عن معناه اللغوى فى غير مـا علم فيه النقل يقيناً يرجح الاول ، وهو كونه للتصديق المخصوص .

ومما يدل ايضاً على ان الاعمال خارجة عن معنى الايمان قوله تعالى «الذين آمنوا وعملوا الصالحات» (٢) «ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً» (٣) لان العطف يدل على المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه لان الشيء لايعطف على نفسه ، وقوله : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا» . (٤) و«يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص» (٥) . و«الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم» (٦) مما اقترن الايمـان فى هاتين الآيتين بالمعاصى، وظاهر ان الشيء لايمكن اجتماعه مع ضده ولامع ضد جزئه .

واما الرويات الدالة على ان الاعمال داخلة فى معنى الايمـان

---

(١) سورة البقرة (٢) : ٨

(٢) سورة الرعد (١٣) : ٢٩ .

(٣) سورة التغابن (٦٤) : ٩ .

(٤) سورة الحجرات (٤٩) : ٩

(٥) سورة البقرة (٢) : ١٧٨.

(٦) سورة الانعام (٦) : ٨٢ .

كالرواية المروية عن علي بن موسى الرضا (ع) : «ان الايمان معرفة بالقلب اقرار باللسان وعمل بالاركان» كما رواه الصدوق في العيون عنه عليه السلام (١) .

وعنه عليه السلام ايضاً «الايمان : قول مقبول ، وعمل معمول، وعرفان بالعقول ، واتباع الرسول» (٢) وغير ذلك من الاخبار الكثيرة المذكورة في الكافي ، فهي محمولة على الايمان الكامل الذي يكون للمتقين المتورعين المخلصين المقبولين ، كما صرح به المحقق الاردبيلي (٣) وجنح اليه الفاضل المازندراني في شرح اصول الكافي.

قال المحقق الاردبيلي (طاب ثراه) بعد ذكر الحمل المذكور: واما الايمان المطلق عند الاصحاب فهو التصديق بالله وبرسله ، وبجميع ما جاءت به على الاجمال ، وبخصوص كل شيء علم كونه مما جاءت به ، وبالولاية ، والامامة ، والوصاية لاهل البيت عليهم السلام بخصوص كل واحد واحد ، مع عدم صدور ما يقتضي خروجه عنه والارتداد ، مثل سب النبي صلى الله عليه وآله ، والقاء المصحف في القاذورات انتهى كلامه رفع مقامه (٤) .

* * *

(١ عيون اخبار الرضا (ع) ١ : ١٧٧ .

(٢) البحار ٦٩ : ٦٧ .

(٣-٤) زبدة البيان / ٩ .

مراتب الايمان

واما مراتب الايمان فقد نقل شيخنا البهائى (١) عن رئيس المحققين نصير الملة والدين فى بعض رسائله : ان مراتب الايمان متخالفة كمراتب معرفة النار مثلا ، فان ادناها معرفة من سمع ان فى الوجود شيئاً يظهر اثره فى كل شيء يحاذيه ، وان اخذ منه شيء لم ينقص، ويسمى ذلك الموجود ناراً ، ونظير هذه المرتبة فى معرفة الله تعالى معرفة المقلدين الذين صدّقوا بالدين من غير وقوف على الحجة.

واعلى منها من وصل اليه دخان النار ، وعلم انه لابد له من مؤثر ، فحكم بذات لها اثر الدخان ، ونظير هذه المرتبة فى معرفة الله تعالى معرفة اهل النظر والاستدلال الذين حكموا بالبراهين القاطعة على وجود الصانع تعالى .

وأعلى منها من احس بحرارة النار بسبب مجاورتها ، وشاهد الموجودات بنورها وانتفع بذلك الاثر ، ونظير هذه المرتبة فى معرفة الله تعالى معرفة المؤمنين الخلص الذين اطمأنت قلوبهم بالله ، وتيقنوا ان الله نور السموات والارض كما وصف .

واعلى منها من احترقته النار بالكلية وتلاشى فيها بجملته ، ونظير هذه المرتبة فى معرفة الله تعالى معرفة اهل الشهود والفناء فى الله وهى الدرجة والمرتبة القصوى انتهى كلامه اعلى الله مقامه (٢).

---

(١) هو بهاء الدين محمد بن حسين العاملى (٩٥٣-١٠٣١)

(١) شرح اربعين حديثا فى ضمن شرحه للحديث الثانى .

قوله : فى بيان نظير المرتبة الاولى : معرفة المقلدين ، اشارة الى جوازالتقليد فى اصول الدين ، بل نقل صاحب المدارك ، عن تصريح المحقق الطوسى: الاكتفاء فى‌الاعتقادات الكلامية اذاطابقت نفس الامر، وان لم‌يحصل بالادلة المقررة ، ثم قال : وهو فى غاية الجودة والاكثر على عدم الاكتفـاء به فى اصول الدين ، بل لابد من النظربالدلايل العقلية .

وفصل صاحب المسالك الجامعية فى شرح الالفية ، فاوجب النظرعيناً مع‌الاكتفاء بالتقليدفهومؤمن بالتقليد على الثقة وفاسق‌بتركه النظرالواجب عيناً ، ومنهم من قال فيه بالتواترالمفيدة للقطع .

* * *

جواز التقليد فى اصول الدين

ونقل المولى‌الفاضل صدرالمحققين سيد صدر الدين فى شرح الوافية ، عن‌الفاضل الورع مولانا احمد الاردبيلى انه قال : وظنى‌انه يكفى فى الاصول الوصول الى المطلوب . . . ثم قال السيد (قدس سره) ههنا ثلاث مقامات : الاول فى انه هل يجوزالتقليد فى الاصول اولا ؟ الحق نعم لان الاصـل عدم وجوب النظر ولاصارف ، اذ ادلة وجوب النظرمدخولة ، مثل قولهم : النظر ممالايتم دفع الضرر الذى هوواجب الابه ، وكل ما لايتم الواجب الا به فهو واجب ، اماتحقق الضررفان من رأى عليه نعماءٍ متوافرة باطنة وظاهرة مع علمه بانهامن جانب الغير.

ورأى الاختلاف في الصانع وصفاته ، وجوزوجود منعم طلب منه معرفته وشكر تلك النعم ، فيحصل له خوف لزوال النعمة ، بل حلول النقمة بترك معرفته وشكره .

والجواب اولا : منع استلزام مجرد تجويزه الخوف الا مع اقترانه بدعوى مدعي الرسالة المقرونة بالمعجزة ، وترك المكلف الاصغاء اليه ، والنظر الى المعجزة اذ حين يحصل الخوف لاحتمال صدق المدعي ، وبالجملة شرط الخوف التبليغ ، أو ماقام مقامه من الالهام وغيره .

وثانيا : ان المدعى عموم الوجوب للمكلفين والدليل لايفيده على تقدير تسليمه ، لان منهم من لايحصل له الخوف حتى يجب عليه عقلا دفعه كمن قلد محقاً وجزم به فانه بعدما اعتقد تقليداً جازماً ان له صانعا منعماً فشكره بموجب اعتقاده مطمئناً بقضاء مايجب عليه ، فكيف يحصل له الخوف . وان جوّز ان يكون اعتقاد اكتفائه مذموماً فمجرد التجويز والاحتمال غير موجب لظن الضرر وحصول الخوف ، وكمن ظن وجود الصانع وصدق النبي ﷺ ، وعمل بشرائعه ، وكمن ايقن بالتقليد حكما جازماً بنفي الصانع .

وكذا من ظن ذلك اذ احتمال الضرر يكون مرجوحاً عنده فلا يكون مظنونا فلا يحصل له خوف ، نعم من لم يقلد احدا وخطر بباله او القى اليه مايحصل به الخوف ، وحكم بان دفعه واجب يجب عليه النظر ، والا فليس بمكلف ، اذ لايتوجه الذم العقلي بالتكليف الشرعي الى العاقل

ومن المعلوم انهذا نادربالنسبة الى ماعداه غاية الندرة ، فيكون الدليل اخص من المدعى ، وتخصيص المدعى مما لايرضى به مدعيه ، هذا امتن ادلتهم ، ولهم ادلة اخرى ، مثل قولهم : ان الله تعالى امر النبى ﷺ بالنظر فى قوله عزوجل ، فاعلم انه لااله الا الله فالامة اولى .

والجواب : ان هذا الخطاب ليس متوجهاً اليه ﷺ بل هو من قبيل : اياك اعنى واسمعى ياجاره ، فحينئذ يمكن ان المرادبالعلم الظن كما قاله الرازى .

وايضاً اذا كان المطلوب طلب النظر منه ﷺ لكان الواجب ان يكون هذه الآية اول ما انزل عليه ، ولايخطرنى ان احداً من المفسرين يكون قائلا به .

سلمنا انه ﷺ داخل فيه ايضاً فنقول : ان المراد طلب العلم وهو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع ، و هو يحصل للمقلد ايضاً اذا قلد من يقول بالحق ، ولو اتفاقاً ، سلمنا ان الخطاب مختص به ولكن لانسلم الاولوية لجودة قريحته وقصور اذهانهم بالنسبة اليه ﷺ

ومثل قولهم : ان التقليد مذموم خرج عنه الفروع فبقى الباقى .

والجواب : ان الذم للمقلد فى الباطل مع حجة الحق كما هو مورد الآية الشريفة ، ومثل قولهم : ان الاجماع واقع على وجوب العلم فى الاصول .

والجواب : ما مرّ من انالعلم مما حصل بالنظر معانالاجماع انما يكون حجة لمن اعتقد الشريعة ، فلاينتهض على من لايقول بالاله.

* * *

اقسام المقلد فى العقائد .

المقام الثاني في اقسام المقلد على القول بجواز التقليد واحكامه .

فنقول : المقلد حينئذ لايخلو امـا ان يكون مقلداً في مسئلة حقة اوباطلة ، وعلى التقديرين اما ان يكون جازمـاً اوظاناً ، على التقديرين المقلد فى الباطل اما ان يكون اصراره مبنياً على عناد وتعصب ، بـان حصل له طريق علم الى الحق فهلكه اولا ؟

فهذه اقسام ستة الاول : من قلد فى مسئلة حقة وجزم بها مثلا ، وقلد فى وجود الصانـع وصفاته وعدله وحكمته ، الى آخرما يعتبرفى المعرفة ، فهذا مؤمن لان مناط الايمان اطمينان النفس بـالعقائد الحقة اذ كمالها انما يكون فى القوة النظرية بحصول العقايد لها من غير ملاحظة علة ، كحصول المقدمـات البرهانية ، اوحضور العلم كما هوالواقع عندها اوحسن ظن بـاحد ، وقبول قوله بحيث تطمئن النفس ويزول التردد ، واحتمال النقيض اوغيرهذا .

ولذا لاترى عـاقلا عيّن للعلم بحقائق الاشياء تصديقاً اوتصوراً طريقاً خاصاً لايجوز تجاوزه ، بل ماذكروه من جملة الطرق لابمعنى الانحصار، كيف وعلم العقول حصولى عنـد الاكثر من غيرا كتساب من احد وبرهان ، وهوكما لهم الذى به قربهم الى الله تعالى ، وكذا علم المعصومين عليهم السلام ، الاترى الى تكرر قوله تعالى «يؤمنون بالله واليوم الاخر» من غيران يقيد طريق ايمانهم ومستنده ، فبعد حصول مـا يعتبر فى الايمان باى طريق كان يجب الحكم بايمانه ، وكان الحكم بالكفر

بمجرد عدم استناد العقايد الى الاستدلال سقط من القول .

وقد كتبت فى شرحى الفارسى على « الباب الحادى عشر » ما ينفعك فى هذا المقام .

الثانى : من قلد فى مسئلة حقة ، مثل ماذكروظن بها من دون جزم فالظاهر اجراء حكم المسلم عليه فى الظاهر، اذا اقر، اذ حاله ليس ادون من حال المنافق لاسيما اذا كان طالباً للجزم مشغولا بتحصيله فمات قبله ، واما فى الاخرة فامره الى الله تعالى .

الثالث : من قلد فى باطل مثل انكار الصانع ، اوشىء ممايعتبر فى الايمان وجزم به من غيرظهورحق ولاعناد .

الرابع : من قلد فى باطل وظن به كذلك ، والظاهر فى هذين الحاقهما بمن يقام عليه الحجة يوم القيامة ، واما فى الدنيا فيحكم عليهما بالكفر اذا اعتقدوا مايوجبه ، وبالاسلام ان لم يكن كذلك كمن انكر النبى ﷺ مثلا ، والثانى كمن انكر الامام (ع) .

الخامس : من قلد فى باطل جازماً مع العناد .

السادس : من قلد فى باطل ظناً كذلك ، و هذان يحكم بكفرهما بعد ظهور الحق والاصرار .

المقام الثالث : فى اقسام المقلد على تقدير عدم جواز التقليد و احكامها .

فنقول : المقلد حينئذ اما ان يكون مقلداً فى حق او باطل ، وعلى التقديرين مع الجزم او الظن ، وعلى التقديرين التقليد فى الباطل بلا عناد او به ، وعلى التقادير كلها دل عقله على الوجوب او

بيّن له غيره ، وعلى تقدير الدلالة اصرّ على التقليد ، اورجع ولكن لم يحصل له كمال الاستدلال ـ ف «هذه اربعة عشر قسماً».

الاول : المقلد فى الحق جازماً مع العلم بوجوب النظر والاصرار ، فهذا مؤمن فاسق لاصراره على ترك الواجب .

الثانى: هذه الصورة مع ترك الاصرار والرجوع الى الاستدلال فهذا مؤمن غير فاسق .

الثالث : المقلد فى الحق ظاناً مع العلم بوجوب النظر والاصرار ، فهذا على الظاهر مرجىءٍ فى الاخرة ، وفاسق لاصراره .

الرابع : هذه الصورة من دون الاصرار فهذا مسلم ظاهراً غير فاسق .

الخامس : المقلد فى الحق جازماً مع عدم العلم بوجوب النظر .

السادس : المقلد فى هذه الصورة ظاناً، وهذان قد علم حكمهما فى السابق من غير فسق ، اذلا اثم للجاهل .

السابع : المقلد فى الباطل جازماً معانداً مع العلم بوجوب النظر والاصرار ، فهذا اشد الكافرين .

الثامن : هذه الصورة من غير عناد ولا اصرار بعد العلم بوجوب النظر فهذا كافر ايضاً ان مات ولم يرجع عن اعتقاده الباطل .

التاسع : هذه الصورة من غير علم بالوجوب ، وهذا ايضاً كافر .

وكذا العاشر : يعنى هذه الصورة من غير عناد .

والحاديعشر : المقلد في الباطل ظاناً معانداً مع العلم بوجوب النظر والاصرار .

والثاني عشر : بلااصرار .

والثالث عشر بلاعلم .

والرابع عشر : بلاعناد ، والحكم في الجميع يظهر ممـاسبق انتهى كلامه اعلى الله مقامه (١) وهذا تفصيلا حسن لامزيد عليه .

واما ما ذكره الشيخ الطوسي (رحمه الله) في التبيان في تفسير قوله تعالى «والذين يصدقون بيوم الدين» (٢) فـامـا المصدق بيوم الدين تقليداً فمن الناس من قال هو ناج ، ومنهم من قال لايطلق عليه مصدق بيوم الدين، لانها صفة مدح ، وذلك انه من اخلص هذا المعنى على جهة الطاعة لله تعالى به استحق المدح والثواب، والمقلد عاص بتقليده، لانه لايرجع فيه الى حجة فهو كلام مجمل والحق التفصيل بما نقلناه (٣) .

واما محل الايمان ومقامه ، فقد قـال بعض اهل التحقيق : ان مقامات القلوب عند ارباب العقول اربعة ، وذلك لان الله تعالى سمى القلب باسماء: صدراً ، وقلباً ، وفؤاداً، ولباً ، فالصدر : معدن الاسلام

---

(١) شرح الوافية للسيد صدر الدين محمد بـاقر الرضوى القمى (ـ١٢٦٠) مخطوط في مكتبة آية الله المرعشي في قم برقم«٢٦٥٦» ١٢ ورقة قبل آخر الكتاب .

(٢) سورة المعارج (٧٠) : ٢٦ .

(٣) تفسير التبيان (١٠) : ١٢٣ .

لقوله تعالى «افمن شرح صدره للاسلام» (١) والقلب : معدن الايمان لقوله تعالى «حبب اليكم الايمان» (٢) والفؤاد : معدن المعرفة لقوله تعالى «ماكذب الفؤاد مارأى» (٣) واللب : معدن التوحيدلقوله تعالى «ان فى ذلك لذكرى لاولى الالباب» (٤) فهذه الانوار كانت فى اسرار الموحدين، ولايصح المعرفة الابالتوحيد، ولايصح الاسلام الابالايمان، فمن لاتوحيد له لامعرفة له ، ومن لامعرفة له لاايمان له ، ومن لاايمان له لا اسلام له ، ومـن لااسلام له لاينفعه ما سواه من الافعـال والعلوم والاخلاق .

* * *

هل للنية تأثير فى الثواب والعقاب اولا ؟

واعلم : ان العلماء قد اختلفوا فى المؤاخذة بـاعمال القلب ، فذهب بعضهم الى عدمها تمسكاً بما ورد فى الحديث القدسى من انه «اذاهـمّ عبدبسيئة فلاتكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها سيئة ، واذاهـمّ بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة ، فأن عملها فاكتبوها عشراً» (٥) .

وذهب بعضهم الى انه يؤاخذ بهـا ، مستدلا بقوله تعالى «ان

(١) سورة الزمر(٣٩) : ٢٢.
(٢) سورة الحجرات (٤٩) : ٧ .
(٣) سورة النجم (٥٣) : ١١ .
(٤) سورة الزمر (٣٩) : ٢١ .
(٥) بحار الانوار ٧٠ : ١٩١

تبدوا ما بانفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله (١) .

وقوله تعالى «ان بعض الظن اثم» (٢) وبتحريم الحسد .

* * *

اقسام النية

والتحقيق : ان مـا فى النفس امور ثلاثة : الاول ، الخطرات والوساوس التى لاقصد فى عروضها ، ولااستمرار فى حصولهـا بل تمر على القلب من غير قدرة ولا اختيار فيه ، بل مع غـاية الاستنكار والاشمأزاز عنه ، ولاريب فى عـدم المؤاخذة به لعدم تعلق التكليف بما لاقدرة فيه ، بل صرح بعض بعدم الخلاف فيه .

وفى رواية ابن ابى عمير ، عن محمد بن مسلم ، عن ابى عبدالله عليه السلام ، قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وآله فقال : يـا رسول الله هلكت ، فقال صلى الله عليه وآله : اتاك الخبيث فقال لك من خلقك؟ فقلت: الله ، فقال لك : الله من خلقه؟ فقال : اى والذى بعثك بالحق لكان كذا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ذاك والله محض الايمان ، قال ابن ابى عمير : فحدثت بذلك عبد الرحمن بن الحجاج ، فقال : حدثنى ابى عن ابى عبدالله عليه السلام : ان رسول الله صلى الله عليه وآله انما عنى بقوله ذاك «والله محض الايمـان» خوفه ان يكون هلك ، حيث عرض ذلك فى قلبه (٣) .

---

(١) سورة البقرة (٢) : ٢٨٤.

(٢) سورة الحجرات (٤٩) : ١٢ .

(٣) الكافى ٢ : ٤٢٥ .

الثاني : حديث النفس باختيـار الفعل او الترك لما يوافقهـا اويخالفها ، وهذا القسم لايؤاخذ به ايضاً .

قال في الجوامع في تفسيرقوله تعالى «وان تبدوا ما بانفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله » (١) : لايدخل فيما يخفيه الانسان الوساوس وحديث ، لان ذلك مما ليس في وسعـه الخلو منه ، ولكن مااعتقده وعزم عليه .

وعن عبدالله بن عمرانه تلاها فقال : لان أخذنا الله بهالنهلكن، فذكر لابن عباس فقال : يغفرالله لابي‌عبدالرحمن قد وجد المسلمون منه مثل ماوجد فنزل «لايكلف الله نفساً الا وسعها» (٢) انتهى (٣).

قال المحقق الاردبيلي (طاب ثراه) وفي الاستدلال على مذهب الشيخ (من انعقاد النذر من غير لفظ) بمثل (قوله تعالى) «وان تبدوا ما بانفسكم اوتخفوه يحاسبكم به الله» (٤) تأمل لايخفى وكذا بمثل قوله تعالى «واعلموا أن الله يعلم مافي انفسكم فاحذروه» (٥) نعم هما يدلان على العقاب بافعال القلب ، ولوبقصد المعصية ، وذلك غيربعيد فان قصد القبيح قبيح عقلاً وشرعاً ايضاً ، الا انه لايعاقب عليه العقاب الذي يعاقب بفعلـه في الخـارج ، وبه يجمع بين الادلـة ، بل بين

---

(١) سورة البقرة (٢) : ٢٨٤.
(٢) سورة البقرة (٢) : ٢٨٦ .
(٣) تفسيرجوامع الجامع/ ٥٢ .
(٤) سورة البقرة (٢) : ٢٨٤ .
(٥) سورة البقرة (٢) : ٢٣٥ .

الاقوال (١) .

اقول : الاستدلال بأمثال هاتين الايتين على العقاب بافعال القلب تأمل ، لتعارضها بآيات اخر ، منها قوله تعالى « وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم » (٢) وقوله تعالى «فمن يعمل مثقال ذره خيراً يره»(٣) الاية ، ثم قبح قصد القبيح ممنوع في الشريعة السمحة السهلة ، مضافاً الى أخبار العفو عنه ، كما ستعرفه ، وعلى تقدير التسليم فليحمل الايات المذكورة على القسم الثالث كما سيجيء وستعرف الكلام فيه ايضاً .

فالاخبار الدالة على التفصيل بـ «ان من يهم حسنة ولم يعملها كتب حسنة ، ومن يهم بسيئة ولم يعملها لم يكتب عليه ، ومن يهم وعملها كتب عليه سيئة» لعل المراد منها العزم بها كما في القسم الثالث ، وهو بتوطين النفس على الفعل او الترك ، وقد اختلفوا فيه ، والمنقول عن السيد المرتضى (رضي الله عنه) كصريح الشيخ ابى على الطبرسي (طاب ثراه) في الجوامع كما عرفت المؤاخذة به ، و المحكي عن كثير من الاصحاب عدم المؤاخذة به ايضاً ، وهذا في غير العزم بما ثبت المؤاخذة به كالكفر والحسد .

* * *

---

(١) زيدة البيان فى احكام القرآن/٤٩٤ .

(٢) سورة الشورى (٥٢) : ٣٠ .

(٣) سورة الزلزلة (٩٩) : ٧ .

الجمع بين اخبار تأثير النية

قال بعض المحققين ـ في شرح أصول الكافي في دفع المنافاة بين الاخبار الدالة على عدم المؤاخذة بالنية مجردة عن الفعل ، وبين مايدل منها على المؤاخذة بها ـ : بان مايدل منها على عدم المؤاخذة المراد به عدم المؤاخذة بالنية اذا لم يفعلها، والمراد بمايدل منها على المؤاخذة، المؤاخذة بها اذا فعلها فلامنافاة قال المولى الفاضل المحقق الاردبيلي (قدس سره) في تفسير قوله تعالى :

«واعلموا أن الله يعلم مافي انفسكم فاحذروا» اشارة الى المبالغة في عدم قرب المعاصي ، حتى كأنه يعاقب بمجرد العزم ، لا انه يعاقب كماهو الظاهر، لان المشهور عند الاصحاب : انه لايعاقب بعزم الحرام ويثاب بعزم الطاعة، وهو من جملة الطافه، وان كان ذلك ايضاً محتملا ، وذهب اليه السيد السند ، ثم قال : ويحتمل ان يكون معنى القول المشهور انه لايعاقب بعقاب الحرام المنوي وان يعاقب بعقاب العزم ، بخلاف نية الطاعة ، فانه يثاب الناوي بثواب تلك الطاعة انتهى .

اقول : تعارض الاخبار في هذا الباب مع كون اخبار العفو، بل الاصل ايضاً موافقة للشريعة السمحة السهلة ، وانجبارها بالشهرة بين الاصحاب ، بل كونه مشهوراً بينهم ، وجواز تخصيص الاية وتقييدها بها ، او بما يعارضها من الايات الاخر تقتضي عدم المؤاخذة في هذا القسم ايضاً .

وما ذكره من المعنى للقول المشهور خلاف ظاهر كلامهم ،

وايضا قوله : يعاقب بعقاب العزم، اول الكلام مع كونه قريباً من قول العامة كما يأتى .

* * *

سبب خلود اهل النارفى النار

واما خلود اهل النارفيها فقد روى فى الكافى - فى باب النية- فى وجه خلود اهل النار فيها كرواية يونس ، عن هشـام ، قال : قال ابوعبدالله عليه السلام : انما خلد أهل النارفى النارلان نياتهم كانت فى الدنيا انلوخلدوا فيها ان يعصواالله أبدا، وانما خلداهل الجنة فى الجنة لان نياتهم فى الدنيا انلوبقوافيها انيطيعواالله ابداًفيها، خلدهؤلاءوهؤلاء، ثم تلاقوله تعالى «كل يعمل على شاكلته» (١) قال عليه السلام : على نيته» (٢) ومراده عليه السلام بقوله اى خلدوا فيها وانلوبقوا علىفرض الدنيا الىغير النهاية ، ويؤيده قوله عليهما السلام : « ابداً » فلايشكل بان اللازم من الرواية المذكورة «خلود اهل النار فيها بقدر الدنيا» .

وقد ثبت انها يعدم ويفنى ، وزمانه ينقطع ، والمدعى اعم من ذلك .

فى التجرى

واعلم : انه قال الشهيد الاول (عليه الرحمـة) فى قواعده : لاتأثير للنية فى المعصيـة لاعقاباً ولاذماً ما لميتلبس به ، وهو مما فى الاخبار العفو عنه ، فلونوى معصية وتلبس بمانواه فظهر بخلافه ففى

---

(١) سورة الاسراء (١٧) . ٨٤ .

(٢) اصول الكافى ٢ : ٨٥ ح٥ .

تأثيرهذه النية نظر: من انها لم يصادف بمانواه ، وصارت كنية مجردة، وهي غيرمؤاخذة بها ، ومن دلالتها على انهتاكه الحرمة وجرئته على المعاصي ، فلووجد امرئة في منزل غيرها فظنها اجنبية فاصابها فتبين انها زوجته قال بعض العامة : يحكم بفسق متعاطي ذلك لدلالته على عدم المبالات بالمعاصي، ويعاقب في الاخرة مالم يتب عقاباً متوسطا بين عقابي الصغيرة والكبيرة وهوتحكم وتحرص انتهى كلامه ملخصاً (١)

وماورد في بعض الاخبار: انه لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولايشرب شارب حين يشرب وهو مؤمن ، ولايسرق سارق حين يسرق وهومؤمن (٢) وغيرذلك من الاخبار الدالة على ان العبد اذا اتى كبيرة من كبائر المعاصي ، اوصغيرة من صغائر المعاصي التي نهى الله عنها كان خارجاعن الايمان ساقطا عنه اسم الايمان، وثابتاعليه اسم الاسلام ، فان تابه واستغفرها عاد الى دار الايمان ، ولايخرجه ، فمحمول على المبالغة في الردع والزجر عن المعاصي ، فالمراد انه ليس بكامل الايمان لتعارضها الاخبار الكثيرة الدالة على ان تارك العمل وفاعل المعصية يلحقه الشفاعة (٣) ويدل على ذلك بعض فقرات دعاء السحر الذى [رواه] ابوحمزة الثمالي عن علي بن الحسين

---

(١) كتاب القواعد للشهيد الاول محمد بن مكي العاملي (٧٨٦) الفائدة العشرون/٤٤ .

(٢) البحار ٦٩ : ٦٧ عن علي عن اخيه قال : قال رسول الله «ص»: لايزني الزاني وهومؤمن . ولايسرق السارق وهومؤمن .

(٣) راجع بحار الانوار ٦٨ : ٩٨ باب ١٨ .

عليهم السلام وهو قوله عليه السلام : «الهى لم اعصك حين عصيتك وانـا بربوبيتك جـاهد ، ولا بامرك مستخف ، ولالعقوبتك ، متعرض ، ولا لوعـدك متهاون ، ولكن خطيئة عرضت و سولت لى نفسى ، وغلبنى هواى ، واعـاننى شقوتى عليهـا ، وغرنى سترك المرخى علىّ ، فقد عصيتك وخالفتك بجهدى (١) .

والله ولى التوفيق . هذا غاية ما ساعدنى التوفيق الى تحريره ، وساقنى التحقيق الى تقريره ، قد فرغ من تسويد هذه الرسالةالمسماة بـ «اقطاب الدوائر» مؤلفه الفقير الى الله ورحمته وشفاعة نبيّـهوالائمة مـن بعده ابن المصطفى « عبدالحسين » احسن الله تعالى حـالهمـا فى الدارين بمحمد وآله الطـاهرين فى شهر رجب المرجب سنة «ثمان وثلاثين ومائة بعد الالف» من الهجرة النبوية المصطفوية عليه وآله الف الصلاة والتحية حامداً مصلياً مسلماً .

---

(١) مفاتيح الجنان / ١٩٢ .

ملحق بالصفحة - ٣٥

قـد أشرنا فى التعليقة الى أن المهم فى فهم الاية والاستدلال بها على عصمة اهل البيت يتوقف على بيان امرين :

الاول : ان الاية وردت فى سياق نساء النبى فكيف يستدل بها على عصمة اهل البيت ؟

ولعل ما مرّ فى الكتاب يكفى فى حلّ هـذا الاشكال ونضيف اليه أن وحدة السياق انما يستدل بهـا اذا لم يكن هناك دليل صارف عنه كيف وقد تضافرت النصوص على نزولها فى اهل بيت النبى ﷺ.

الثانى : ان الارادة الواردة فى الاية امـا ارادة تشريعية ، او تكوينية ، فلو ارديت الاولى فلاتدل على العصمة لانها ليست الاطلب الطهارة مـن اهل البيت ، وهو لايختص بهم بل يعمهم وغيرهم جميعاً

ولو ارديت الثانية اى الارادة التكوينية فلازمهـا الجبر وسلب الاختيار عنهم ، لان ارادته سبحانه لطهارتهم لاتتخلف كمـا هوشأن ارادته سبحانه فى جميع التصرفات التكوينية .

والجواب أن الارادةهنا تكوينية لاغير بشهادة الحصرالمستفاد مـن كلمة «انما» اذ لاخصوصية لاهـل البيت فى تشريع الاحكام لهم وليست لهم احكام مستقلة خاصة بهم دون غيرهم .

على ان حملهـا على الارادة التشريعية يتنافى مع اهتمام النبى ﷺ بأهل البيت وتطبيق الاية عليهم بـالخصوص فى مـوارد متعددة وكان كثيراً ما يخاطبهم بها . كما رواه الامام احمد فى مسنده وغيره .

وأمـا مشكلة الجبر وسلب الاختيار فمندفعة بمـا اوضحناه فى تعلق ارادته سبحانه بافعـال العباد ، فان لازم « التوحيد فى الفـاعلية والخالقية» كما هو منصوص الايات ومقتضى البراهين هوان كل مايقع فى صفحة الوجود سواءكان فعلا للعباد او لغيرهم لايخرج عـن اطار الارادة التكوينية لله سبحانه ، ولايقع شيء فى الكون الابارادته واذنه سبحانه . قال تعالى : « وما قطعتم من لينة او تركتموهـا فبأذن الله» وهذه الاية وغيرها تدل بصراحة على ان فعل العباد حلالها وحرامها غير خارجة عـن اطار الارادة التكوينية والايلزم ان يكون الانسان او الفواعل الاخر مستقلين فى الفعل والتأثير ، وهويستلزم الاستقلال فى الذات ، وهو عين الشرك ونفى التوحيد فى الافعال والخالقية .

ومـع ذلك فليس العباد مجبورين فى افعالهم وتصرفـاتهم لان ارادته سبحانه وان تعلقت بافعالهم لكن ارادته سبحانه متعلقة بافعالهم بتوسط اراداتهم الخاصة ، وفى طول مشيئتهم ، وبذلك صح ان يقال لاجبر ولا تفويض بل امربين الامرين .

وعلى ذلك فالله سبحانه وان اراد طهارتهم و عصمتهم بالارادة

التكوينية ولكن تلك الارادة تعلقت بها لما علم سبحانه انهم بما زودوا من امكانات ذاتية ومواهب مكتسبة نتيجة تربيتهم وفق مبادى الاسلام لايريدون الا ما شرع لهم سبحانه من احكام فهم لايشاؤون الا مايشاء الله .

وعند ذلك صح له سبحانه ان يخبر بانه اراد تكوينا اذهاب الرجس عنهم لانهم عليهم السلام ماداموا لايريدون لانفسهم الا الجرى على وفق الشرع الذى هو عبارة اخرى عن اذهاب الرجس والتطهير لايفيض عليهم سبحانه الاهذا النوع من الوصف .

وحصيلة الكلام ان مبنى الاشكال هو الغفلة عن كيفية تعلق ارادته سبحانه بافعال العباد حيث توهم المستشكل : اولا ان افعال العباد خارجة عن اطار الارادة التكوينية لله سبحانه وغفل عن ان هذا النوع من الاعتقاد يساوق الشرك ويصادم التوحيد .

وثانياً : ان سبق الارادة التكوينية على افعال العباد يستلزم سلب الاختيارعنهم ، وغفل عن أن ارادته سبحانه انما هى بتوسط ارادة العباد واختيارهم ، فهم اذا ارادوا لانفسهم شيئاً فالله سبحانه يريد ذلك الشيء لهم تكوينا وليس فى ذلك آية رائحة للجبر بل هو الامر بين الامرين .

وعند ئذ يكون المراد من تطهيرهم هو تجهزهم بادراك الحق فى الاعتقاد والعمل اى اعطائهم البصيرة الكاملة لمعرفة الحق فى مجال الاعتقاد والعمل ، وحينئذ تتعلق ارادته التكوينية بعصمتهم بعد هذا التزويد والتجهيز .

قم ـ جعفر السبحانى

العنوان	الصفحة

العنوان	الصفحة

تحت اشراف لجنة التحقيق
في مؤسسة الامـام الصادق (ع)

رسالة قيمة

في تفسير آية التطهير

للعلامة الحجة

آية الله الشيخ لطف الله الصافي

دام ظله

من منشورات

دار القرآن الكريم

قم المقدسة

١٤٠٣ ـ هـ ق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين وصلى الله على سيد رسله ابى القاسم محمد وآله المطهرين المعصومين .

من الايات التى استدل بها على عصمة سادتنا الائمة الهداة الميامين عليهم افضل صلوة المصلين ، وطهارتهم عن كل رجس آية التطهير.

قال الله تعالى : «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا (١) .

وجه الاستدلال بها مضافا الى اخبار الكثيرة التى اخرجها اعلام المحدثين واكابر المفسرين من العامة والخاصة فى كتب الحديث والجوامع والمسانيد وكتب التفسير عن النبى ﷺ واهل بيته واصحابه ان لفظة «انما» محققة لماثبت بعدها نافية لما لم يثبت ، والارادة التى

(١) سورة الاحزاب الاية ٣٣

جائت فى الاية الكريمة هى الارادة الحتمية والتكوينية التى يتبعها التطهير دون الارادة المحضة والمطلقة التى ربما يعبر عنهـا بالارادة التشريعية .

وذلك لانه تعالى اراد التطهيرعن الارجاس عن جميع المكلفين بالارادة المطلقة والتشريعية وأمرهم بكل ماينبغى ان يفعلوه ونهاهم عن كل ماينبغى ان يتركوه ، والاية الكريمـة تدل على اختصـاص الارادة المذكورة فيها باهل البيت عليهم السلام دون غيرهم فلاتكون الارادة الاالارادة الحتمية التى يتبعها التطهير لامحالة .

وايضاً لاريب فى ان هذا التعبير الصريح فى اختصاصهم بهذه الارادة صريح فى المدح والتعظيم لاهل البيت عليهم السلام ، واذا كانت الارادة غيرحتمية لامدح لهم بها، ويختل نظام الكلام المنزه عنه كلام العقلاء فضلا عن الله تعالى .

وعليه لامناص من القول بان المراد منها هى الارادة المستتبعة التطهيرواذهاب الرجس .

وبذلك يدفع توهم شمول الاية لغيراهل البيت عليهم السلام ممن ثبت عدم عصمتهم كازواج النبى صلى الله عليه وآله .

ومما يدل على ان الارادة هى الارادة الحتمية ان متعلق الارادة فى الاية اذهاب الرجس عنهم الذى هو فعل الله تعالى ، والارادة التى تتعلق بفعله تعالى حتمية لاتتخلف عن المراد ، ففرق بين مايكون المراد فعله تعالى ، وبين ما يكون فعل الغير المختار، فاذا كان متعلق الارادة فعل غيره المختـار يصح أن تكون هى التشريعية كما يجوز ان تكون

التكوينية ، وان كان الظاهـر من موارد الاستعمالات بلاقرينة صارفة الاولى .

واذا كان متعلق الارادة فعل الله تعالى اوصدور الفعل عن غيره المختاربدون اختياره تكون الارادة حتمية لاتتخلف عن المراد والا لزم اسناد العجزالى البارى سبحانه وتعالى شأنه المنزه عن كل عجز ونقص ، والمتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

ولايخفى عليك ان فى الاية ضروبا من التأكيد فى المدح والتعظيم لاهل البيت عليهم السلام كما يدل قوله (تطهيراً) ايضا على عظم شأن هذا التطهير .

ان قلت : على هذا : اذا كان اذهاب الرجس عنهم بفعل الله تعالى وارادته الحتمية كيف يوجه مدحهم ، وتفضيلهم على غيرهم لامر لم يكن من فعلهم ولاباختيارهم ؟

قلت ، : ان عنايات الله الخاصة بل والعامة لاتشمل الامن له قابلية قبولها ، وهوعزوجل اعلم بمحالها ومواردها . قال الله تعالى : وان من شيىء الاعندنا خزائنه ، وما ننزله الابقدرمعلوم (١) .

وقال جل شأنه : الله اعلم حيث يجعل رسالته (٢) .

وقال سبحانه تعالى : اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم (٣) .

---

(١) سورة الحجر الاية ٢١

(٢) سورة الانعام الاية ١٢٤

(٣) سورة الزخرف الاية ٣٢

و هذا كالتوفيق والخذلان فلايفوز بالتوفيق من الله الذى هو ولى التوفيق الا مـن كانت له اهلية ذالك كما لا يصيب الخذلان الامن جعل نفسه فى معرضه .

قال الله تعالى : ثم كان عاقبة الذين اساؤ السوآى ان كذبوا بآيات الله و كانوا بها يستهزئون (١) .

فهذه امور مرتبطة بالشئون الربوبية ، و استصلاح حال العباد وما تقتضيه الحكمة الالهية ، وهوالعالم بها وبمواردها ، وهوالحكيم العليم الفياض الوهاب الجوادالذى لايبخل ، ولاينفدخزائنه ولايمنع فيضه ممن له اهلية ذلك .

الاترى اختلاف النـاس فى الاستعدادات ، والقوى النفسـانية والجسمانية .

فالله تعالى اعطى من اعطاه من قوة الدرك والشعور بحكمته ، ولانه اهل لقبول عطيته واخذ موهبته ولم يحرم مـن لم يعطه ذلك ، ولم يبخس حقه بل اعطاه بقدر استعداده وظرفيته ، ونعم ماقاله الشاعر بالفارسية:

آنكه هفت اقليم عالم را نهاد — هر كسى را آنچه لايق بود، داد

گر بريزى آب را در كوزه‌اى — چند گنجد قسمت يكروزه‌اى

آب كم جو تشنگى آور بدست — تابجوشد آبت ازبالا وپست

ثم ان بعض اهل الاهواء ، والمغترين بالثقافة الغربية ومن يحذو

---

(١) سورة الروم الاية ١٠

حذوهم ممن نعتوا انفسهم بالثقافة والتنور الفكرى وماهم بذلك زعم ان الارادة لو كانت تشريعية ليكون اهل العصمة و غيرهم سواء لكان اجتنابهم عن المعاصى والقبائح بالاختيار ادل على فضيلتهم ، و كمال نفوسهم من اجتنابهم عن المعصية بصفة انهم معصومون وان الله اراد عصمتهم عن المعاصى ، وبهذا البيان المزخرف اراد نفى دلالة آية التطهير على عصمتهم ، وانكارها من الاصل .

والجواب عن هذا الزعم الفاسد : انه لاملازمة بين العصمة وعدم الاختيار ، ولا منافات بينها وبينه فان ارادة الحتمية والتكوينية تارة تتعلق بفعله ، وما يصدر عنه بلا واسطة امر بينه وبين المراد ، وبعبارة تتعلق بوقوع امر بدون واسطة امر آخر سواء كان فى خارج عالم الاختيار والاسباب والمسببات او فى عالم الاختيار والاسباب فلايتخلف الارادة عن المراد حتى اذا كانت متعلقة بامر اختيارى لولا هذه الارادة ، وبماله اسباب كثيرة لانه بعد ما اراد وقوعه مطلقا بدون واسطة الاسباب واختيار فاعل مختار يقع لامحالة كما اراد .

واخرى تتعلق بما يصدر عن العبد بالاختيار او بوقوع مايكون له اسباب متعددة كذلك اعنى باختياره وبواسطة الاسباب ففى مثله حصول المراد وتحققه ، وعدم تخلف الارادة عن المراد انما يكون بصدوره عن العبد بالاختيار وبكونه مسببا لهذه الاسباب ففى هذه الصورة لاتنافى بين ارادته المتعلقة بمايقع فى عالم الاختياروالاسباب والمسببات وتوسط الوسائط والاسباب بل لووقع بغير اختيار العبد اوتأثر الاسباب لكان من تخلف المراد عن ارادته .

وبناءِ على هـذا نقول : ان قضية اذهـاب الرجس عنهم عليهم السلام وتعلق ارادته تعالى به التى لا تتخلف عن مراده هى عصمتهم ، وعدم صدور القبائح منهم ، وطهارتهم عن الارجاس حـال كونهم مختارين فى الفعل والترك غير مقهورين محفوفين بشواغل عالم الطبيعة ممـا يدعو النفوس الى الانصراف عـن الملاءِ الاعلى والاشتغـال بذكر الله تعالى .

تحقيق دقيق:

ولنا تحقيق دقيق فى سد ثغور دلالة هذه الاية على عصمة الائمة عليهم السلام الهمنا الله تعالى ببركة ماحققه الرجل الالهى الفريد فى عصره الامـام فى العلوم الاسلامية ، سيدنا الاستاذ البروجردى اعلى الله فى الفردوس مقامـه فى مباحثه فـى اصول الفقه فـى مبحث الجمع بين الحكم الظـاهرى والواقعى ، ورفـع التنافى المتوهم بينهما تـذكرة مماشاة لمن يصرّ على كون الارادة فى الآية تشريعية .

فنقول مستمدين العون من الله تعالى :

اعلم ان الارادة التشريعية هى عبارة عـن الحكم بالشىء بـأنه ينبغى ان يفعل اولا يفعل اعنى الامر و النهى و الطلب والزجر ليكون الامر داعياله الى فعل مـا امربه ، وزاجرا له عـن فعل مـا نهى عنه وبعبارة اخرى هى انشاء مايصلح لان يكون داعياله الى فعل المأمور به وزاجراً عن فعل المنهى عنه لان ينبعث نحو الفعل من ينبعث بامره وينتهى عن المنهى عنه من ينتهى عن نهيه ، ويتم الحجة على غيره ممن

يستخف بامره ، ولايعتنى به.

وهذا امر يجتمع مع الارادة الحقيقية والجدية التى هى روح الحكم تارة ويفارقها اخرى فاذا علم المولى من حال عبده انه ينبعث بامره وينزجر بنهيه ، وان امره يدعوه الى اطاعته و امتثاله ، يريد منه بالارادة الجدّية والطلب الحقيقى فعل ما امره به وترك ما نهاه عنه ، فأمره ونهيه بالنسبة الى هذا العبد يكون حقيقياً جدياً .

واذا علم من حاله أنه لايؤثر فيه امر المولى ولايحركه بشيء ولايصير داعياً له نحو الاطاعة والامتثال فلا يعقل ان يكون امره ونهيه بالنسبة الى هذا العبد حقيقياً ولايقترن مثل هذاالامر والنهى ، بـارادة الآمروالناهى الجدّية ، فالامروالطلب فى الصورة الاولى يكون حقيقياً مجامعاً مع الارادة الجدية وفى الصورة الثانية يكون صورياً ،ولاتمام الحجة وقطع العذر .

وبالجملة فلا يعقل ارادة الانبعاث الجدية والطلب الحقيقى ممن يعلم انه لاينبعث بـامر المولى ، فلا يعقل ان يقول (قم) او(لاتزن) او (لاتشرب الخمر) ويريد القيام، وترك الزنا وترك الخمربالارادةالجدية ممن يعلم انهلاينبعث بهذا الامرولايأتمربه ، ولاينزجرعن الزنا وشرب الخمرولاينتهى بنهيه عنهما حتى لوكان المولى من الموالى العرفيين ولم يعلم ذلك من العبد واحتمل فى حقه تأثيرامره فيه ، وانبعاثه به وتحريكه نحوالفعل لاتتأتى منه الارادة الجديـة بمجرد ذلك الاحتمال بـل انما يأمر، وينهى برجاء انبعاث عبده اوانتهائه .

والحاصل انهلايعقل تعلق الارادةالجدية والطلب الحقيقى بصدور

فعل عمن يعلم المريد انه لايفعله والامر اوالنهي في هذه الصورة لايكون الاصوريا .

وما ذكرناه يستفاد من كثير من الايـات القرآنية الكريمة كقوله تعالى : لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين (١) .

وقوله : انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة واجر كريم (٢)

وقوله تعالى : رسلا مبشرين ومنذرين لئلايكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما (٣) .

وقوله سبحانه : « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة » (٤) .

فارادة « قبول الانذار من المنذر، والانذار بقصد ان ينذر المنذر لايكون حقيقيا الا اذا كان المنذر ممن اتبع الذكر، و خشى الرحمان بالغيب ، ويؤثر فيه الانذار.

اما من لم يؤثر فيه ذلك ، ولاينذر بالانذار فانذاره ليس الاصوريا ولرفع عذره ولئلايكون له على الله حجة .

هذا وان شئت قلت : ان الارادة التشريعية على ضربين ، ضرب منهما مايعلم المريد من حال المراد منه انه ينبعث نحو المأمور به بامره

---

(١) سورة يس/ ٧٠
(٢) سورة يس/ ١١
(٣) سورة النساء/ ١٥٦
(٤) سورة الانفال ٤٢

ويحركه و يصيرداعيا له فيطلب منه ذلك بـالطلب الحقيقى و الارادة الجدية وضرب منهما ما يعلم المريد من حال المراد منه انه لايتأثر بامره فيحكم بامره اونهيه بما ينبغى ان يفعل اولايفعل و ينشأ مـا يصلح ان يكون داعياله ولكن لاطلب له حقيقيا فى هذه الصورة ولايريد انبعاث المأمور بهذا الامر بالارادة الجدية بل لايصح اطلاق الطلب والارادة على ذلك بنحو الحقيقة الامجازا وبالتمحل بخلاف الاول فـان اطلاق الطلب والارادة وانه مريدوطالب يكون على نحو الحقيقة .

وعلى هـذا نقول : ان الارادة المذكورة فى الاية وان كـانت تشريعية الا انها من النوع الاول الذى اراد الآمر والنـاهى بـالارادة الجدية والطلب الحقيقى انبعاث المأمور وامره ونهيه يصدرمنه بداعى انبعاثه وصراحة الاية فى ذلك وان الارادة المذكورة جدية وليست من النوع الثانى فى غاية الوضوح .

وان ابى المعاند عن كل ذلك ايضا ، وقال : ان الارادة التشريعية عامة تشمل جميع المكلفين المطيعين والعاصين على السواء ، قلنا لاتنازع فى الالفاظ والاسماء والاصطلاحات ، وقدقيل من قديم لامشاحة فى الاصطلاح فعرّف الارادة التشريعية بمـا شئت ، وقل ان الارادة التشريعية هى جعل مايصلح لان يكون داعيا للعبد اوزاجرا ، و انشاء ماله قابلية الداعوية وبعث العبد نحو الفعل اوالترك .

الاانك تعلم ان هذا مجرد اصطلاح ولايحصر مفهوم الارادة فى ذلك ولاينفى ماهو واقع الامرو هوان المولى اذا علم من حال عبده انه ينبعث بـامره ويتحرك بارادته التشريعية يطلب منه ما امره به بالطلب

الحقيقى وبـالارادة الجدية واذا علم مـن حـاله انه لا ينبعث بذلك ولايؤثر امره ونهيه فى تحريكه او امتناعه لايطلب منه ما اراده بالارادة التشريعية حقيقة ولايدعوه نحوفعل ماامره به بداعى ان يفعله بل يدعوه بداعى ان يتم عليه الحجة وهذا ما نسمّيه بالامر الصورى ومن راجع وجدانه يعرف منه ذلك .

بل يصح ان نقول ان اطلاق الارادة على التشريعية اطلاق مجازى بخلافه على الارادة الجدية فانه اطلاق حقيقى .

وبالجملة فهل يمكنك انكار الارادة الجدية بالمعنى الدى تلوناه عليك ؟ وهل يمكنك ان تقول انها تتعلق بمالاتؤثر الارادة التشريعية فى الانبعاث نحوه وهل يمكنك انكار تعلقها حقيقة بالانبعاث وبوقوع الفعل عن العبد اذا كان الامر والطلب والارادة التشريعية مؤثراً فى بعث العبد اوزجره ؟ وهل يمكنك ان تقول بعد ذلك بظهور الارادة المذكورة فى الآيه فى الارادة التشريعية دون الارادة الجدية مع عدم وجود قرينة صارفة عن المعنى الحقيقى ووجود الشواهد فى الكلام على ان المراد بالارادة هى الجدية :

وان شئت قل ان الارادة على قسمين جدية وتشريعية ،فالتشريعية عبارة عن طلب التكاليف عن جميع المكلفين على السواء بانشاء ما يصلح ان يكون داعيا لهم والحكم بما ينبغى او يجب ان يفعل اولا يفعل ، والجدية على ضربين تكوينية و غير تكوينية فالتكوينية منهما مايتعلق بكون شيىء بدون واسطة فعل فاعل مختار وغير التكوينية ما يتعلق بفعل فاعل مختار اذا علم من حاله تحريكه وانبعاثه بالطلب منه.

وبعد كل ذلك نقول : ان الله تعالى وان قطع بالارادة التشريعية عذر عباده وانشأ باوامره ونواهيه مايصلح انيكون داعيا للجميع نحوالفعل المأمور به اوزاجراً لهم عن الفعل المنهى عنه ، وجعل الكل فىذلك سواءِ الا ان المستفاد من الاية الشريفة انه لعلمه بحال هذه الذوات المقدسة وانهم عباد مكرمون لايسبقونه بـالقول وهم بامره يعملون ومايشاؤن الا ان يشاءالله .

ارادبالارادة، الجدية (لاالتكوينية) انبعاثهم نحو جميع الطاعات وانزجارهم عن جميع المنهيات فامرهم بما امرهم ونهاهم عمانهاهم لا لان يكون هذا الامر والنهى لقطع العذر واتمام الحجة عليهم بل لانبعاثهم نحو ماامروابه ، وانزجارهم عمـا نهوا عنه وليكون باعثـا وداعيا لهم للامتثال تطهيرا لهمعن جميع الارجاس وقد اخبرنابذلك فى هذه الآية الكريمة اعلاما بجلالة قدرهم وعلوشأنهم وسموّمقامهم وكمال نفوسهم وعلى هذا دلت الاية الشريفة على ان فيهمملكة قبول كل ما امر الله تعالى به ونهى عنه والاهتداءِ بهديه ، ومن كان حاله هذا يريد الله تعـالى اذهـاب الرجس عنه ، ويوفرله اسباب التوفيق ويخصه بعناياته الخاصة ، ويجعله تحت رعايته الكاملة يلهمه كل خير ويميز له كل شرلايدعه فى حال من الحالات ، ولافى شأن من الشئون يختاره ، ويصطفيه من بين عباده ، وهو القادر على مـا يريد ، وبكل شيىءٍ عليم لايسئل عما يفعل وهم يسئلون .

لايقال ما ذكرت حاصل لغيرهؤلاءِ الذوات الكريمة ايضا من الذين يخشون الرحمان بالغيب ، ويتبعون الذكر ، ويقبلون المواعظ

بحسب مراتبهم ودرجاتهم .

فانه يقال نعم ونحن نعرف كثيرا من الناس على بعض مراتب تلك الصفة السامية والملكة العالية القدسية مطيعين لله خائفين منه اهل الخضوع ، والخشوع ، وقيام الليل معروفين بالعدالة ، والزهد ولكن لانعرف على صفة العصمة غير من شهدالله تعالى له بذلك لان العصمة المطلقة لاتعرف الا من طريق الوحي والارتباط بعالم القدس والملكوت الاعلى وقد عرفنا الله تعالى في هذه الاية اهل البيت عليهم السلام ، واخبرنا بطهارتهم عن الارجاس ، وعصمتهم صلوات الله عليهم اجمعين ورزقنا الله اتباعهم والاقتداء بهم واماتنا بحبهم وولايتهم ، ولايفرق بيننا وبينهم طرفة عين ابدا في الدنيا والاخرة انه الكريم المتفضل الوهاب.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

١٦ صفر الخير ١٤٠٣

حرره تراب اقدام محبي اهل البيت عليهم السلام

لطف الله الصافي الكلپايكاني

تحت اشراف لجنة التحقيق

فی مؤسسة الامام الصادق (ع)

رسالة قيمة

حول

عصمة الانبياء والائمة

تأليف

العلامة الحجة آية الله

الشيخ لطف الله الصافی دام ظله

من منشورات دارالقرآن الكريم

قم المقدسة

١٤٠٣ هـ ق

بسم الله الرحمن الرحيم

وردت الينا رسالة من رئيس الجماعة الاسلامية «عادل جوهر» في امريكا وكندا ، تتضمن ثلاثة اسئلة ترجع كلها الى مسألة العصمة في الائمة الاطهار من أهل البيت النبوي ، وقد رفعنا وهذه الاسئلةالى العلامة الحجة آيةالله الشيخ لطفالله الصافي دام ظله علماً بانسماحته احد الابطال في المباحث الاعتقادية وخاصة ما يتعلق منها بالولاية .

فتفضل دام ظله بتدوين رسالة مفصلة وافية بالمراد وشافية لغليل السائل ، وقدسلمنا نسخة من هذهالرسالة الى مندوب الجماعة ، حتى يبعثها الى الجماعة الاسلامية .

ونظراً لاهمية محتويات هذهالرسالة العقائدية قدقمنا بنشرها ملحقة بكتاب اقطاب الدوائر التي تدورمسائلها حول آية التطهيرالتي هي من اوضح دلائل العصمة في اهل البيت .

ونحن عند مانقوم بطبع هذه الرسالة الجوابية القيمة ننشر معها

نص رسالة الجمـاعة تدليلا على اهتمامهم بهذه الامور والفـاتا لنظر المفكرين الاسلاميين الى مايدور فى اذهـان المسلمين القـاطنين فى تلكم الديار .

والله نسأل التوفيق والهداية ، انه سميع الدعاء .

١٧ ربيـع الاول /١٤٠٣ هجرية		**جعفر السبحاني**

بسمه تعالى

ـ الثلاثاء ١٤ جمادى الاخرة سنة ١٤٠٢

سماحة العلامة الاستاد الشيخ جعفر السبحانى ـ دامت افاضاته.

السلام عليكم ورحمةالله وبركاته . وبعد :

اننا فى الجماعة الاسلامية فى امريكا وكندا نعتز اشدالاعتزاز بورثة الانبياء والعترة الطاهرة عليهم السلام علمائنا الاعلام ، حفظهم‌الله تعالى.

ومن جملة النشاطات التى نقوم بها اصدار مجلة اسلامية «الرسالة» كى نقوم بجزء يسير من الاعباء والمسؤوليـات الكبيرة الملقاة على عاتقنا فى بلاد الغربة .

واننـا فى الحقيقة بحـاجـة مـاسة الى البحوث والمقـالات الاسلامية وبحاجة الى مشاركة العلمـاء الاجلاء فى دعم تطور مجلة «الرسالة» .

واننانود من سماحتكم التفضل بالاجابة على الاسئلة التالية، ويفضل انه تكون الاجابة على هيئة بحث علمى كما نودان تجيزونا بنشرها .

١ـ ماهى ادلة عصمة الائمة من مصادر التشريع الاسلامى وماهو

نوعها ، وما هو الفرق بينها وبين عصمة الانبياء ؟

٢- هل يزداد علم الامام المعصوم عليه السلام مع الايام وهل أن علمه عليه السلام قبل تولية الامامة يختلف عنه قبل ذلك ؟ . واذا كان الامر كذلك فكيف يمكننا والحالة هذه ، الحكم بافضلية الامام على عليه السلام على الامام الجواد ، الذى تولى الامامة وهو ابن تسع سنين .

٣- كيف يمكننا درء الشبهة القائلة باختلاف مستويات الائمة ايماناً وعلماً وخلقاً وذلك باعتبار مايرويه لنا التاريخ من سيرهم ؟

* * *

وختاما اسأل الله عز وجل ان يتسع وقتكم للاجابة على هذه الاسئلة التى تتخذ اهمية بالغة فى مثل ظروفنا الحالية واسأله تعالى أن يوفقكم وايانا لتحقيق مافيه رضاه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

رئيس الجماعة الاسلامية

عادل جوهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العـالمين والصلاه والسلام على عبـاده الذين اصطفى سيما سيدهم ابى‌القاسم محمد وآله الطاهرين المعصومين .

وبعد فهذه رسالة وجيزة فى الجواب عن اسئلة ارسلهـا بعض الاخوان الا زكياء من اهل الدعوة الى هدى الاسلام فى آمريكا الى احد اصد قائى من العلماء واسـاتذة الحوزة العلمية كتبتها التماسـا للثواب وامتثالالامر الصديق العزيزادام‌الله ايامه ونفع المسلمين بعلومه و بركاته .

والكلام بالنظر الى الاسئلة يقع فى مباحث .

البحث الاول فى عصمة الانبياء والائمة عليهم الصلوة والسلام وهذا سئواله بلفظه عنها :

مـاهى ادلـة عصمة الائمة عليهم السلام مـن مصادر التشريع الاسلامى وما هونوعها وما هوالفرق بينها وبين عصمة الانبياء؟

والجواب على هذا السئوال ياتى فى طى مسائل :

الاولى ماهى العصمة ؟

والجواب ان العصمة قوةقدسية وبصيرةملكوتية ونورانيةربانية راسخة فى النفس يحفظ بها صاحبها نفسها عن القبائح اتيان كل ما فى فعله انصراف عن الحق ونسيان المولى .

وان شئت قلت : حضور خاص للعبد عند مولاه لايرتكب معه ما ينافى هذا الحضور فلا يشتغل فى هذا الحضور الابما يناسبه ففى مثل هذا الموقف الاقدس لاذنب ، ولا معصية ، ولا انصراف عن الله تعالى . وهذا مقام رفيع لايناله ، ولا يفوز به الا عباد الله المخلصين الكاملين الذين ليس لغيرالله سلطان عليهم وهم الانبياء والائمة عليهم السلام . وان شئت مثالا لذلك والمثال لايسئل عنه .

فانظر الى نفسك اذا كنت طالبا سلعة تذهب الى السوق لشرائها فيعرضها بايع لك بدينار ، وآخر بدينارين ، ولا شك انك مختار فى اشترائها من الاول اوالثانى لكن لاتشتريها الا من الاول لمافيك من قوة التميز بين نفعك وضررك ، والمعصوم فى صفاء النفس والاتصال بعالم الغيب وقوة الدرك حتى فى ترك الاولى كترك المستحبات وفعل المكروهات اصفى نفساً منك ومن غيرك . وبالجملة فالحضور ضد الغياب ، والتوجه ضد الا نصراف فمن كان فى محضر المولى ليس بغائب عنه ومن ذاق حلاوة قربه وموانسته لايبتغى عنها بدلا ، ومن جلس على بساط عبادته وادرك لذة مناجاته يقول كما قال زين العابدين عليه السلام :

متى راحة من نصب لغيرك بدنه ومتى فرح من قصد سواك بنيته

قال العلامة الجليل السيد عبدالله شبر .

العصمة عبارة عن قوة العقل من حيث لا يغلب مع كونه قادرا على المعاصى كلها كجائز الخطاء وليس معنى العصمة ان الله يجبره على ترك المعصية بل يفعل به الطافاً يترك معها المعصية باختياره مع قدرته عليها كقوة العقل، و كمال الفطانة ، والذكاء ونهاية صفاء النفس و كمال الاعتناء بطاعة الله تعالى، ولو لم يكن قادراً على المعاصى بل كان مجبوراً على الطاعات لكان منافياً للتكليف ؛ ولا اكراه فى الدين والنبى ﷺ اول من كلف حيث قال:

فـانا اول العابدين (١) وانا اول المسلمين (٢)

وقال تعالى : واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (٣)

ولانه لو لم يكن قادراً على المعصية لكان ادنى مرتبة من صلحاء المؤمنين القادرين على المعاصى التاركين لهـا (٤).

وقال الشارح للصحيفة الشريف الاجل.

العصمة فى اللغة اسم من عصمة الله من المكروه يعصمه بـاب ضرب بمعنى حفظه ووقاه .

وفى العرف :فيض الهى يقوى به العبد على تحرى الخير وتجنب الشر الخ (٥) .

وقال الراغب : وعصمة الانبياء حفظه اياهم اولا بما خصهم به

---

(١) الزخرف ٨١ .

(٢) الانعام ١٦٣

(٣) سورة الحجر آيه ٩٩

(٤) حق اليقين ج ١ ص ٩٠

(٥) رياض السالكين الروضة السادسة عشرة

من صفاء الجوهر ثم بما اولاهم من الفضائل الجسمية و النفسية ثم بالنصرة وبتثبيت اقدامهم ، ثم بانزال السكينة عليهم و بحفظ قلـوبهم وبالتوفيق (١) .

وقال الشيخ الاكبر المفيد قدس سره :

العصمة من الله لحججه هى التوفيق ، واللطف والاعتصام مـن الحجج بها من الذنوب والغلط فى دين الله تعالى والعصمة تفضل من الله تعالى على من علم انه يتمسك بعصمته، والاعتصام فعل المعتصم وليست القدرة مانعة من القدره على القبيح ولامضطرة للمعصوم على الحسن ولاملجئة له اليه (٢).

وقال ايضاً رضوان الله تعالى عليه .

العصمة لطف يفعله الله بالمكلف بحيث يمنع عنه وقوع المعصية وترك الطاعة مع قدرته عليها (٣)

وقال العلامة الحلى رحمه الله تعالى :

هى ما يمتنع المكلف معه من المعصية متمكناً فيها ولا يمتنع فيها عدمها (٤) .

وقال الفاضل السيورى قدس الله سره .

---

(١) مفردات القرآن فى (عصم)

(٢) تصحيح الاعتقاد ص ٢١٤

(٣) النكت الاعتقادية ص ٤٥

(٤) كتاب الالفين المبحث السابع وراجع فى ذلك كلامه فى شرح تجريد الاعتقاد فى المسئلة الثانية من المقصد الخامس

قال اصحابنا ومن وافقهم من العدلية: هى لطف يفعله الله بالمكلف بحيث يمتنع المعصية لانتفاء داعيه ووجود صارفه مع قدرته عليها ووقوع المعصية ممكن نظراً الى قدرته وممتنع نظرا الى عدم الداعى ووجود الصارف ، وانما قلنا بقدرته عليها لانه لولاه لما استحق مدحاً ولاثواباً اذلا اختيار له حينئذ لانهما يستحقان على فعل الممكن وتركه لكنه يستحق المدح والثواب لعصمته اجماعاً فيكون قادراً .

و قال الاشاعرة : هى القدرة على الطاعة و عدم القدرة على المعصية(١).

وقال بعض الحكماء:

ان المعصوم خلقه الله جبلة صافية ، وطينة نقية، و مزاجا قابلا وخصه بعقل قوى و فكر سوى، وجعل له الطافا زائدة فهو قوى بما خصه على فعل الواجبات واجتناب المقبحات والالتفات الى ملكوت السموات والاعراض عن عالم الجهات فيكون النفس الامارة مأسورة مقهورة فى حيز النفس العاقلة .

وقيل : هو المختص بنفس هى اشرف النفوس الانسانية ، ولها عناية خاصة ، وفيض يتمكن به من اسر القوة الوهمية و الخيالة الموجبتين للشهوة والغضب المتعلق كل ذلك بالقوة الحيوانية .

ولبعضهم كلام حسن جامع هنا قالوا :

العصمة ملكة نفسانية يمنع المتصف بها من الفجور مع قدرته

---

(١) لايخفى عليك بطلان هذه المقالة لان القدرة على الطاعة لاتحقق الامع القدرة على تركها، والقدرة على ترك الطاعة هى القدرة على المعصية

عليه، ويتوقف هذه الملكة على العلم بمثالب المعاصى ومناقب الطاعات لان العفة متى حصلت فى جوهر النفس وانضاف اليها العلم التام بما فى المعصية من الشقاوة والطاعة من السعادة صار ذلك العلم موجبا لرسوخها فى النفس فتصير ملكة، ثم ان تلك الملكة انما يحصل له بخاصية نفسية اوبدنية تقتضيها، والالكان اختصاصه بتلك الملكة دون بنى نوعه ترجيحا من غير مرجح، ويتأكد ذلك بتواتر الوحى وان يعلم المؤاخذة على ترك الاولى (١).

اقول: لاريب ان الاختصاص بتلك الملكة انما يكون بجهة مرجحة يعلمها الله تعالى، وليس علينا السئوال عن هذه الجهة وهذا كاختصاص كثير من المخلوقات بل كلها باوصاف خاصة واختلافهم فى الانواع والافراد، واختصاص السماء والارض بالخلق وغير ذلك، وماهو المعلوم عقلا وشرعا ان كل ذلك لم يكن عبثا، ومن خلق هذا الخلق وجعل هذا النظام الحاكم على عالم الانسان، والحاكم على عالم الحيوان والنباتات بانواعها، والجمادات كلها تشهد بحكمه وتقدسه عن اللغو والعبث، وقال سبحانه وتعالى فى وصف اولى الالباب:

ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار (٢).

وقال تعالى جده.

ماخلقنا السماء والارض ومابينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا

---

(١) اللوامع الالهية اللامع العاشر ص ١٦٩، ١٧٠
(٢) آل عمران ١٩١

فويل للذين كفروا من النار (١) .

وقـال عز مـن قائل : افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون (٢) .

وهذا لايمنع عن القول با شرفية البعض من البعض ، وافضليته بل غاية مايقال فيه : ان ذلك بتقديره وحكمته .

فالسؤال الذى ربما يختلج بالبال فى اصطفاء من اصطفاه الله من الانبياء والائمة عليهم السلام هو السئوال عن اختصاص كل ذى فضل فى هذا العالم بنوعه اوفرده على غيره .

والجواب على النحو العام هو أن افعـال الله تعالى كلها متقنة محكمة صدرت منه لاغراض متعالية والتفضيل المشاهد فى العالم اما يحصل لعلل يقتضيهاضيق عالم المادة وماجعل الله فى كل جزء من اجزاء هذا العالم بتقديره من التأثير فى غيره اوالتأثيرمنه ، واما يحصل لعلل اختيارية تؤثرفى كمال النفس وفضلها، وتؤثرفى تفضيل بعض الافراد من الانسان والحيوان ، والنبات على غيرها ، وقد يحصل لعلل اخرى اختيارية للعبد، وغيراختيارية ممايوجب الترجيح ويؤثرفيه ،والجهات المرجحة كثيرة لايمكننا احصائها ومعرفة تفاصيلها فاذا وجد باذن الله تعالـى وتقديره شخص قابل للافاضة الغيبية والعناية الربانية كالعصمة والعلوم اللدنية لايحرم منها ويستحيل أن يمنع الله تعالى ذلك عنه والله تعالى اعلم بموارد عناياته وافاضاته .

---

(١) سورة ص ٢٧

(٢) المؤمنون ١١٥

هذا ولنا أن نقول أن النظـام لايتم بل لايقوم الاعلى التفضيل والاختصاص والاصطفاء فاختصاص العين بالرؤية والاذن بالسمع وسائرالاعضاء كلها بخاصية معينة ، وكذا اختصاص هذا الشجر بهذا الثمروهذا بهذا هوالمقوم لهذا النظـام باذن الله تعالى ولو لميكن هذا الاختصاص لميكن هذا العالم «وذلك تقدير العزيز العليم» . (١)

فالاصطفاء والاختصاص والتفضيل امرواقع فى عالم التكوين مهما كانت علله ومعلومة كانت لنا اومجهولة عندنا .

نرى ذلك بالعيان ، ونقرأه فى تراجم الانبياء والاولياء وارباب العقول الكبيرة وغيرها ، كمانلبس عصمة الانبياء والاولياء من خلال سيرتهم وعباداتهم ، وخصائصهم واخلاقهم لايمكننا انكارالواقعيات ، القرآن المجيد ايضا ناطق باصطفاء بعض الناس على بعض ، وبعض الانواع على بعض قال الله تعالى :

«ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض (٢) .

وقال سبحانه :

«تلك الرسل فضلنـا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم على بعض درجات (٣) .

وقال عزمن قائل : واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين (٤) (اى عالمى زمانها كماورد

---

(١) يس ٣٨
(٢)الاسراء ٥٥
(٣) البقرة ٢٥٣
(٤) آل عمران ٤٢

في التفاسير) .

وقال جل شأنه : «يابني اسرائيل اذكروا نعمتى التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين (١) (اى عالمى زمانها).

وقال الله تعالى : «ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا (٢) .

وقال تعالى جده: «ان الله اصطفى آدم ونوحا و آل ابراهيم و آل عمران على العالمين (٣) .

وقال تعالى شانه : «ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا(٤)

وقال تعالى : ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض (٥)

نعم يستفاد من بعض الايات الدالة على التفضيل وجهه ايضا كقوله تعالى : فضل الله المجاهدين على القاعدين اجراً عظيما (٦)

وقوله عزشانه : يرفع الله الذين آمنوا منكم والدين اوتوا العلم درجات (٧) .

حيث يستفاد من الاية الاولى ان وجه تفضيل المجاهدين على القاعدين هو جهادهم ، ومن الثانية ان وجه رفع درجات المؤمنين

---

(١) البقره ٤٠

(٢) الاسراء ٧٠

(٣) آل عمران ٣٣

(٤) الفاطر ٣٢

(٥) النساء ٣٢

(٦) النساء ٩٥

(٧) المجادلة ١١

و العلماء هو ايمانهم ، وعلمهم كما يستفاد من البعض الأخر جهة التفضيل .

كقوله تعالى: منهم من كلم الله ورفع بعضهم فوق بعض درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس(١) حيث يستفاد منه ان جهة تفضيل موسى على بعض الانبياء انه كلم الله، وجهة تفضيل عيسى البينات وتأييده من جانب الله تعالى بروح القدس و كما يستفاد من البعض الاخر ان التفضيل انما يكون لحكمة اخرى خارجة عن المفضل والمفضل عليه وان كان فائدته يرجع اليها والى النظام .

كقوله تعالى : ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا (٢) .

اذاً فلااستبعاد فى اختصاص بعض الناس بالاصطفاء والعصمة وغيرها من الفضائل بعد مايرى مثلها فى نظام الله تعالى فى خلقه وبعد ماجرى عليه عادته وسنته فلايجوز السؤال عنه حسداً واعتراضاً ولافائدة فيه .

قال الله تعالى : ام يحسدون الناس على ما آتيهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما (٣) .

وروى شيخنا ثقة الاسلام الكليني فى الكافى عن عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن أبى نصر عن حماد بن عثمان عن عبدالله

---

(١) البقرة ٢٥٣

(٢) الزخرف ٣٢

(٣) النساء ٥٤

الكاهلي قال :

قال أبوعبدالله عليه السلام : لو أن قوماً عبدوا الله وحده لاشريك له واقاموا الصلوة وآتوا الزكاة وحجوا البيت ، وصاموا شهر رمضان ثم قالوا لشيءٍ صنعه الله أوصنعه رسول الله صلى الله عليه وآله الاصنع خلاف الذى صنع اووجدوا ذلك فى قلوبهم لكانوا بذلك مشركين ثم تلا هذه الاية فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً (١) .

ثم قال أبوعبدالله عليه السلام : عليكم بالتسليم (٢) .

المسئلة الثانية :

ماهى انواع العصمة ؟

وما هوالنوع الذى يجب ان يكون النبى والامام متصفين به ؟

والجواب : ان العصمة تارة تطلق ، ويراد منها العصمة عن الكفر والكذب فى تبليغ الرسالة والاخبار عن احكام الله والمعارف الدينية وتارة يراد منها العصمة عن الكفر ومطلق الكذب بعد النبوة او مع قبلها ، وتارة يراد منها العصمة عن المعاصى و كلماينفر عنه وعن ترك الاولى ايضاً بعد النبوة اومع قبلها .

فهذه سبعة أنواع كل نوع تحت نوع اوسع واشمل حتى يصل الى النوع السابع وهوالعصمة عن المعاصى وترك الاولى و كلما ينفرعنه قبل النبوة وبعدها .

---

(١) النساء ٦٥

(٢) مرآة العقول ج٤ص ٢٨٠

ولاريب انالدليل عليهدليل على الجميع ، والاقوال فيالنوع المعتبرفي النبي والامام مختلف لافائدة فيذكرها هنامن ارادالاطلاع عليها فليراجع كناب تنزيه الانبياء والكتب المؤلفة فيالكلام والفرق والذي نقول ونعتقده عصمة الانبياء عن جميع المعاصي وعماينفر عنه قبل النبوة وبعدها وعن الخطاء والسهو والاشتباه في كل مايرجع الى تبليغ رسالات الله تعالى وعصمة نبينا محمد بن عبدالله ﷺ والائمة المعصومين عليهم السلام عن جميع ذلك وعن ترك الاولى وعن الخطاء والسهوفي جميع الامور .

المسئلة الثالثة :

الادلة التي تقام على عصمة الانبياء والائمة عليهم السلام هلهي عقلية اوسمعية ؟

واعني بالثانية مايستفاد من مصادر التشريع الاسلامي ، وهل الاصل فياثبات هذا الموضوع هوالعقل اوالنقل يكفي في ذلك فان لم تقم الادلة العقلية عليه يجوز اثباته بالنقل ؟

والجواب : أما عن الاول فنقول : قد دل العقل والنقل على وجوب عصمة الامام ، وأدلتها العقلية والنقلية كثيرة جدا فهذا كتاب (الالفين) لنابغةعلوم المعقول والمنقولالعلامة الحلي رضوان اللهتعالى عليه ، والنسخة المطبوعة منه وانكان ناقصة مشتملة على مايتجاوزعن الف دليل عقلي وسمعي على انالامام يجب انيكون معصوما .

واما الجواب عنالثاني : فالاصل فيالاعتقادبعصمة النبيوالامام ووجوب كون الامام معصوما هوحكم العقل والشرع يؤيد العقل

فی حکمه هذا وذلك لان العقل قاطع بوجوب اتصاف النبی والامام بالعصمة والشرع انما یکون المرجع الاول فی کل مورد لوحکم فیه بالایجاب اوالسلب لم یکن حکمه بایهمامغایراً لحکم العقل

وبعبارة اخری الشرع هو المرجع الاول فی کل مورد لم یکن للعقل فیه بالایجاب اوالسلب حکم بحیث یکون حکم الشرع بالسلب أوالایجاب موضوعالحکم العقل بهایضاً اولحکمه الاخر کحکمه برمی الجمار والسعی بین الصفا والمروة فانالعقل بعدحکم الشرع بهیحکم به کمایحکمبوجوباطاعته ووجوب الامر به وذمتارکه وضابطةاخری فیذلك : ان لایکون حکم الشرع فی مورد تکونحجته حکم الشرع اواصل الشرع متوقفة علی حکم العقل به .

ففی مسئلة عصمة الانبیاء العقل هو المرجع الاول ویحکم بوجوب کون النبی معصوما لادلته ، واما الشرع فالعلم باصله متوقف علی العلم بلزوم بعث النبی وشرایطه و اوصافه ، والعلم بهذه لو کان ممکن الحصول من جانب الشرع لزم الدور لان العلم بالشرع ، وما یخبرعنه النبی متوقف علیالعلم باوصافه ولو کان العلم باوصافهمتوقفا علی اخبار النبی لزم الدور .

فقد اتضح من ذلك ان مافی دائرة حکم الشرع بهوالشرع هو المرجع الاول فیه هو کلما لمیکن للعقل فیه حکم ایجابی اوسلبیولم یکن مما یتوقف علیه العلم بالشرع واثبات اشتراط العصمة فی النبی خارج عن ذلك ، وکذا اثبات اشتراط عصمة الامام فانه وان لم یکن مما یتوقف علیه العلم بالشرع ولکن العقل حاکم به بالایجاب وعلیه

يكون الشرع فيه مرشدا الى حكم العقل ومؤيدا ومقرراله، ومن هنا يعلم ان الحكم بوجوب اطاعة الله تعالى عقلى وارشادى كما ان الحكم بوجوب اطاعة النبى والامام شرعى ومولوى .

فان قلت : اذا كان العقل هو المرجع الاول فى تلك المسئلة فمن اى طريق تعرف عصمة النبى و ان المعجزة التى اتى بها دليل على صدقه ونبوته وبالتالى على عصمته، وبعبارة اخرى صدق مدعى النبوة يثبت بالمعجزة اذا كان معصوما و من المعلوم عدم وجود دليل على عصمة مدعيها الان يقال ان المعجزة كما تدل على صدق مدعى النبوة تدل على عصمته ايضا وعليه كيف يكون العقل هو المرجع الاول .

قلت : اولا ماقلنا بان العقل هو المرجع الاول فيه هو لزوم العصمة فى النبى والامام و فرق بين مسئلة وجوب كون النبى والامام معصومين وبين مسئلة طريق معرفة المعصوم ، والمعجزة دليل على صدق مدعى النبوة وعصمته بحكم العقل فما يدل عليه العقل اولا بدون الاستعانة بالمعجزة هو لزوم بعث النبى ونصب الامام ولزوم اتصافها بالعصمة ومايحكم به العقل بالمعجزة هو كون هذا الشخص المعين هو النبى المعصوم والامام المعصوم .

وثانيا : المعجزة وان يثبت بها صدق النبى وعصمته ليست من الادلة السمعية والشرعية بل هى مما يثبت بها الشرع وحجية السمع ، فمعجزات الاولياء والانبياء خارجة عن ادلة السمعية الشرعية ومدلولها ليس من الامور التى تثبت باخبار النبى والامام .

فظهر بذلك ان لامنافاة بين كون العقل حاكما بلزوم العصمة

فی النبی والامام وبین کون المعجزة دلیلا علی صدق النبی وعصمته و کذلك الامام وان هذا ایضا حکم العقل ولیس من الشرع وما یثبت حجیته وحقیته بالمعجزة بشییء .

نعم هنا امر لاباس بالاشارة الیه وهو ان المعجزة انما تکون دلیلا علی العصمة اذا لم یکن فی مدعی النبوة عملا و خلقا ما ینافی العصمة واذا کان فیه ما ینافی ذلك کارتکاب القبائح، وسوء الاخلاق فهو الدلیل علی ان مایظهره بعنوان المعجزة لیس معجزة لان الله لایؤید عمل المبطلین ولا یصلح عمل المفسدین، وهکذا یجییء الکلام فی النص الصادر من النبی علی نبوة من یأتی بعده او امامته فاذا کان المدعی لورود النص علیه غیر مرضی الاخلاق والا فعال لا یعتنی بمایدعیه ویعلم من ذلك ان مایدعیه من النص لم یصدر اوصدر فی حق غیره .

المسئلة الرابعة :

ماهی الدلائل العقلیة علی عصمة الانبیاء والائمة صلوات الله علیهم اجمعین ؟

الجواب : ادلتها کثیرة نذکر نموذجا منها مما یدل علی المعتقد الحق .

فمنها : انهم لو لم یکونوا معصومین عن المعاصی عمدا وسهوا ، وعن الخطاء و النسیان و السهو فی کل ما یرجع الی ما یجب اتباعهم من اقوالهم وافعالهم وسیرهم وسلوکهم لیرفع الاطمینان والاعتماد عن اتباعهم والاقتداء والتأسی بهم ، وتبطل فائدة بعث الانبیاء ونصب الائمة وینقض الغرض الباعث الی ارسال الرسل

بل خطأهم و نسيانهم فى الامور العادية ايضا يضعف ذلك الاعتماد ، تنزههم عنه يقوى ذلك ويؤكده غاية التاكيد فاللطف والحكمة يقتضى اختصاصهم بعنايات والطاف تدفع عنهم السهو والنسيان .

لايقال : ان ذلك غلوفيهم ، وانهم مـافوق الانسان واعلى منه لانه يقال : اختصاصهم بتلك العنايات و كون ذكرهم وتوجههم دائميا ليس فوق حدالانسان ولا يقول ذلك الا من قصر عن معرفة الانسان ومراتب كماله ، وما يصل اليه فى سيره الى الله تعالى .

قال الامام ابوعبدالله الصادق عليه‌السلام على ما روى عنه :

الصورة الانسانية هى اكبر حجج الله على خلقه ، وهى الهيكل الذى بناه بحكمته وهى مجموع صور العالمين وهى المختصر مـن العلوم فى اللوح المحفوظ .

وينسب الى اميرالمؤمنين عليه‌السلام .

وانت الكتاب المبين الذى　　　　با حرفه يظهرالمضمر

الغلو انما يحصل برفعهم من مرتبة العبودية والمخلوقية ، والفقر الذاتى الى مرتبة المعبودية والخالقية والغنى الذاتى ، والفضائل و كثير من الصفات وما يتقرب العبد الى المولى ، ويتخلق باخلاقه مشتركة بين الانسان والملائكة فلم يدل دليل على امتناع اتصاف البشربها وان لم تحصل الا للاوحدى من الناس ، واثباتها لهم ليس غلوا فيهم ، و غاية مايقال فيهم انهذه الصفات فى الملائكة فعلية، وليست بالاستعداد وبالقوة ، والانسان لابشرط فى ذلك عن الفعلية والاستعداد فبعض افراد الانسان فيه هذا بالقوة وبعضهم فيه بالفعلية .

هذا مضافا الى ان القول : بأنهم مـا فوق الانسان ان اريد به رفعهم الى مرتبة الملائكة ، واثبات هـويتهم لهم فليس هذا رفعاً لهم من مرتبتهم ان لم يكن اثباتا لقصر لهم اذ الانبياء والائمة افضل من الملائكة لان عصمتهم عن المعاصي ليس معناها عدم تمكنهم منها او نفي ماكان يمكن ان يكون داعياً لهم ، وكم فرق بين من لايتحقق له الداعي الىالاكل لعدم امكان ذلك له فلا يسند اليه ترك الاكل حقيقة وان اسند اليه فلا يكون الامجازا كقول القائل ان الحجر لاياكـل فامتناعه عـن الاكل ليس عـن عمد واختيار بل لايصح ان يسند اليه الامتناع عن ترك الاكل وبين من يمتنع عنه بالاختيار ويسند اليه كسائر افعاله وتروكه الاختيارية ولا جل هذا يقول المحقق الطوسي قدس سره القدوسي في افضلية الانبياء على الملائكة :

والانبياء افضل لوجود المضار .

واما قوله تعالى : قل انما انابشر مثلكم يوحى الى (١) .

وقوله تعالى : قل سبحان ربي هل كنت الابشرا رسولا (٢) .

فليس مفاد هما ان اثبات صفات الملائكة لهم غلو ورفع عـن درجة الانسان الى درجة اعلى بل المراد نفي الغلو باثبات صفات الله المختصة لهم ، واثبات الاستقلال لهم في عرض ارادة الله ومشيته فهم عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون . ليس لهم الاتيان بآية الا باذن الله تعالى ، فمثل النبي الخاتم ﷺ الذي :

---

(١) سورة الكهف ١١٠

(٢) الاسراء ٩٣

فاق النبيين فى خلق وفى خلق ولم يدانوه فى علم ولا كرم

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفا من اليم اورشفا من الديم

وماينطق عن الهوى ان هوالاوحى يوحى (١)

وايضا مثل هاتين الايتين ردعلى من يطلب من النبى ﷺ ترك ماهو ضرورة الانسان كالاكل، والشرب والمشى فى الاسواق زعما منه ان ترك ذلك كمال النبى ﷺ ولذا قالوا :

مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق (٢)

وقال سبحانه وتعالى : ومـا منع الناس ان يؤمنوا اذا جائهم الهدى الا ان قالوا بعث الله بشرا رسولا . قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا (٣)

ومن الادلة التى اقيمت على عصمة الانبياء والائمة عليهم السلام انه يجب فى النبى والامام قوة الرأى والبصيرة وعدم السهو، وكلما ينفرعنه، ومن المعلوم ان المعصية كبيرة كانت اوصغيرة من اعظم ما ينفرعنه، ومن اقوى الشواهد على ضعف الراى، والسهو ايضا يذهب بمكانته الاجتماعية وربما يصيرسببا لاستهزاء الناس به، وانكاره ماعليه وادعائه ماليس له وكل ذلك ينافى مصلحة النبوات .

ومنها انه يجب متابعتهم واطاعتهم، ولولم يكونوا معصومين جازان يأمروا بالمعصية، ومافيه المفسدة، وينهوا عن الطاعة وما فيه

---

(١) النجم ٣

(٢) الفرقان ـ٧

(٣) الاسراء ٩٤ ، ٩٥

المصلحةوذلك يؤدىالى اغواءِ الناس واضلالهم ، وهذا ضدالمقصود من بعث الرسل لان الغرض فيه هداية العباد والبشارة والانذار .

ومنها غيرذلك من الادلة التى تعدبالمئات ذكرها العلامة فـى الالفين وفى سائر كتبه فىالكلام والامامة ، وذكرطائفة منها غيرهايضا من شاءِ اكثرمن ذلك فليراجع هذهالكتب .

المسئلة الخامسة :

ماهى ادلة عصمتهم من مصادر التشريع الاسلامى ؟ !

الجواب : ان الادلة الدالة عليها من القرآن المجيد قولهتعالى واذا ابتلى ابراهيم ربهبكلمات فاتمهن قال انى جاعلك للناس اماما قال ومنذريتى قال لاينال عهدى الظالمين (١)

فهذه الاية الكريمة صريحة فى عظم امـر الامامة وانها عهدالله تعالى لاينال الظالمين ، والظلم عنوان عام لكل مالايجوز فعله شرعا اوعقلا كما تعرف ذلك منموارد استعمالاته فىالكتاب والسنة واللغة .

لايقال ان الاية لاتدل على اكثرمنعدم لياقة الظالم لنيل منصب الامامة فى حال تلبسه بالظلم ولاتدل على عـدم نيله اذاكان متلبسا بـه فيما مضى .

لانه يقال : اولا لانسلم كون المشتق حقيقة فىالمتلبس بالمبدأ فى الحال اى فىحال الجرى والنسبة بل هـواعم منه ومما انقضى عنه المبـدء .

وثانيا ماهو الملاك فىعدم نيل الظالم الامامة هـوصدور الظلم

---

(١) البقرة-١٢٤

عنه فمايمنع شارب الخمر ، وقاتل النفس المحترمة والسارق وغيرهم من الظالمين عن التشرف بمقام الامامة هوشرب الخمر وقتل النفس والسرقةوان صدرعنهم فى الماضى وتابوبعده ، وليس المراد انشارب الخمر اوالزانى اوعابد الاصنام فى حال تلبسه بالزنا ، والطارق فى حال تلبسه بالسرقة وعابد الاصنام فى حال تلبسه بعبادة الاصنام وعدم توبته عن هذه الافعال غيرصالح لهذا المقام امابعد هذا الحال ولو بساعة ولحظة وبعد التوبة لاتقدح هذه المعاصى فى صلاحيته ، وهذاواضح يعرف بادنى تأمل .

ان قلت: فمامعنى قوله ﷺ : الاسلام يجب ماقبله والتوبةتجب ماقبله والتوبة تجب ما قبلها وقوله ﷺ : التائب من الذنب كمن لاذنب له .

قلت : لاريب فى ذلك ولكن قدبينالك ان الشرع انما يحكم تأسيساً وهوالمرجع الاول فيما لاحكم فيه للعقل : ففى دائرة الاحكام والتكاليف الشرعية وضعية كانت او تكليفية الاسلام يجب ماقبله ، ويذهب بالاثار الشرعية المترتبة على الافعال التى ارتكبها الشخص قبل اسلامه على التفصيل المذكور فى الفقه ، اماالاثار الوضعية الحقيقية فليست بتشريعية ولاتنالها يدالانشاء والاعتبار فليست قابلة للمحو بالاسلام والتوبة .

فتنفر الطباع عمن ارتكب قبائح الاعمال والشروروعبد الاصنام قبل اسلامه وتوبته لايزول بهما وكذا عدم الاعتماد على الكذابين ، والخائنين واهل الفجور والشروالفسادامر طبيعى لايمكن رفعه بالانشاء

ومصلحة النبوات وتربية العباد وسياسة امورهم تقتضي ان يكون النبى والامام من غيرهم ، وكم فرق بين من لم يكفر بالله طرفة عين ، وكان له في سوالف عمره سوابق حسنه وكانت حياته مضيئة بالخيرات مشرقة بالصلح والسلم ، والكرامة الانسانية والرشد والصلاح ومنع الظلم ورحمة الايتام والضعفاء والمستضعفين وبين من مضى برهة من عمره فـى عبادة الاصنام والارتكاب للقبائح حتى وأدالبنات بقساوة شديدة قلمايرى مثلها فى تاريخ الانسان (١) .

وثالثا عدم نيل عهد الله تعالى الظالم فى حال ظلمه سيّما اذا كان ظلمه عبادة الأصنام وارتكاب الفجور والظلم على العباد بالاستعلاء عليهم واستضعا فهم واضح لايحتاج توهمه الى دافع ، سيما اذا كان السائل نبياً جليلا كابراهيم الخليـل الذى بلـغ فى معرفة الله تعالـى الغاية القصوى ، ودفع توهمـه خلاف البلاغة فاذا ليس المراد منه الا مطلق من صدرعنه الظلم بل خصوص من صدرمنه الظلم فى الماضى أو يعلـم الله بصدوره منـه فى المستقبل ، واما المتلبس بالظلم فعدم لياقته معلوم بالضرورة لاحاجة الى التنبيه عليه .

---

(١) وهـذا عمر بن الخطاب قد دفن فيما روى ستا مـن بناته فى الجاهلية وان كان ليحضر لاحداهن الحفرة يريد ان يئدها فيها فيتخلله غبار الحفر فتنفض البنت عـن ابيهـا غباره ، وتمشط لحيته بـاصابعهـا حنانا ورقة فلا يلين ذلك من قلبه شيئاً حتى اذا انتهى ، زجها فى قبرها واهـال التراب بين بكائها وعويلها واستنجادها به يا ابتاه ! (الاستاذ محمد سعيد الافغانى ــ مجلة حضارة الاسلام طبع دمشق) (ع ٢ س ٢٢ ص ٢١) .

نعم هذه الاية لاتدل على ازيد من عصمتهم عن المعاصي .

ومن هذه الايات قوله تعالى : يا ايها الدين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامرمنكم .

وهذه الايـة دلت على اطاعة الرسول ، وأولى الامر في كل مايأمرون به وينهون عنه ، ولو لم يكونوا معصومين لزم الامر باطاعة غير المعصوم ، والامر باطاعة غير المعصوم ، والامر باطاعته قبيح لكونه معرضاً للامر بالقبيح والنهى عن الحسن .

ومنها قولـه تعالى : ياإيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (١) .

فانه يدل على وجوب الكوز مع الصادقين ، والكون معهم عبارة عن متابعة اقوالهم ، والاقتداء بافعالهم ، والتزام سيرتهم وعدم مفارقتهم ، فيجب اولا عدم خلو الزمان منهم، وثانياً كونهم معصومين عن المعاصى والخطـأ والسهو بل وترك الأولى وقد روى من طرق الشيعة واهل السنة أن الصادقين هم ائمة اهل البيت عليهم السلام (٢) .

وللفخر الرازى في تفسيره الكبير كلام حول تفسير هذه الاية

---

(١) التوبة ـ ١١٩ .

(٢) يراجع فى ذلك شواهد التنزيل للحاكم الحسكانى ج١ص٢٦٢ ـ ٢٥٩ والدر المنثور للسيوطى ج٣ ص ٩٠ وخصـائص الوحى المبين لابن بطريق الفصل الثالث والعشرون ص ١٣٦ وغيرها من كتب اعلام الشيعة واهل السنة ولابن بطريق هنا استدلال على ان الايمـان والتقوى لاينفعان الا بعد الكون مع اميرالمؤمنين على (ع) .

يؤيد بالافصاح مذهب الشيعة الامامية ، وكلامه فى غاية التحقيق ، ولاعبرة بمافال فى ذيل كلامه من الجواب عماتفطن به فانه فى غاية الضعف ويستبعد خفاء ضعفه عن مثله فلعله انما قاله خوفاً من النواصب الذين يرون انكار فضائل أهل البيت عليهم السلام وبغضهم من علائم كون الشخص من أهل السنة مع أن النبى صلى الله عليه وآله قال :

لايحب علياً منافق ولايبغضه مؤمن (١) .

وقال علي عليه السلام : عهد الى النبى صلى الله عليه وآله انه لايحبك الا مؤمن ولايبغضك الامنافق (٢) ومن الايات الدالة على عصمتهم قوله تعالى حكاية عن ابليس : فبعزتك لاغوينهم اجمعين الاعبادك منهم المخلصين (٣) .

وقوله تعالى : ان عبادى ليس لك عليهم سلطان (٤)

وقوله سبحانه: أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع امن لايهدّى الا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون (٥)

وقوله عز وجل: قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله(٦)

---

(١) اخرجه الترمذى واحمد فراجع .

(٢) راجع مسند احمد ج١ ص٨٤ و٩٥ و١٢٨ وغيره من الجوامع كسنن النسائى وابن ماجه والترمذى .

(٣) سورة ص٨٣ .

(٤) سورة الحجر٤٢ .

(٥) يونس ٣٥ .

(٦) آل عمران ٣١ .

وقوله عز من قائل : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً (١) وغيرهاممايطول بنا المقام بذكرهاوبيان الاستدلال بها .

ان قلت : اذا كان الامرباطاعة غيرالمعصوم قبيحاً لايصدر عن الحكيم كماذكرتم فى بيان الاستدلال بقوله تعالى :

اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فماتقولون فى امراءِ السرايا ، وحكام البلاد ، والمفتي والقاضى مع أن الامة اتفقت على وجوب اطاعتهم وعدم عصمتهم ؟

قلت : اولا أنهم وان كانوا ممن تجب طاعته فيما علم بعدم خطأهم وفيمالاطريق الى العلم بخطأهم الا انه لوعلم بخطاهم لم تجب اطاعتهم لانه (لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق) وليس امرا مراء السرايا وحكم حكام البلاد بحيث لايمكن تخلفه عن الواقع وفرض الخطا فيه كما هوالامرفى أمرالنبى والامام وحكمها لانه لايتخلف عن الواقع ودليل على الشرع والشرع يعرف به كما يعرف بغيره من مصادرالتشريع .

وثانيا : ان النبى والامام اذا اخطئا ليس من ورائها نبى اوامام من ورائها نبى أوامام ينبه على خطاهم بخلاف امراء السرايا والحكام فان النبى والامام من ورائهم يحفظان الشريعة من التحريف والتغيير، وينبها على خطاءِ امراء السرايا والعمال .

وثالثا : نقول اما أن نقول بوجوب اطاعة النبى فى جميع

---

(١) الاحزاب ٣٣ .

الاوقات ، او يخصص عمومه ببعض الاوقات لاسبيل الى الثانى فان الامة اتفقت على وجوب اطاعته مطلقا وفى جميع الاوقات وعلى هذا لوفرض كون الامام غيـر معصوم يمكن ان يقع فى الخطـاء فى وقت مّا ويأمر على خلاف امربه النبى فحينئذ اما أن يجب اطاعته ومخالفة النبى فهذا باطل قطعا واما ان يجب اطاعة النبى ومخالفة الامام فهو مخالف لوجوب اطاعة كل واحد منهما لان الله ساوى بينهما فى الامر باطاعتهما .

واما ان تجب اطاعة كل منها فهو محال وتكليف بما لايطاق فلايبقى الا الامر الرابع وهو عصمة الامام كالنبى وعدم وقوع المخالفة بينهما .

وعلى هذا فنقول : فرق واضح بين اطاعة الامام واطاعة امراء السرايا والحكام فان الله لم يساو بين اطاعتهم واطاعة الامام والنبى ، وانما وجبت اطاعتهم بامر النبى اوالامام وتبعيتهما اياهم لهذه المناصب ولذا يجب ان يكون الامام كالنبى معصوماً دون غيرهما من امراء السرايا والحكام .

هذا بعض الادلة التى اقيمت على عصمة الانبياء والائمة عليهم السلام من القرآن المجيد المصدر الاول للتشريع الاسلامى بتقريرمنا .

وهنا ايضا ادلة كثيرة من السنة التى هى المصدر الثانى للتشريع نشير الى طائفة منها فمنها: الاحاديث المتواترة المشهورة بين الفريقين باحاديث الثقلين (١) وهذه الاحاديث على كثرتها وتواترها ، وكثرة

(١) منها مااخرجه عبد بن حميد فى مسنده عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله(ص): انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله*

مخرجيها ، ورواتها من الصحابة قد دلت على عدم خلو الزمان من امام معصوم عن المعصية والخطاء وحصر طريق الامن ، من الضلال والاختلاف بالتمسك بالكتاب والعترة الهادية المعصومة .

ومنها احاديث السفينة (١) الدالة على ان مثل اهل بيت رسول الله صلى الله عليه و آله كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنهـا غرق .

ومنهـا الاحاديث الامان (٢) وهذه الاحاديث ايضاً دلت على عدم خلو الزمان من معصوم من اهل بيت النبى صلى الله عليه وآله يكون وجوده اماناً لاهل الارض والتمسك به اماناً من الضلالة والاختلاف وقد اشبعنـا الكلام حول هذه الاحاديث (احاديث الثقلين ، احاديث السفينة ، احاديث الامان) واسنادها ومتونها ودلالتها فى كتابنا (امان

---

*وعترتى اهل بيتى ، انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض(احياء الميت بفضائل اهل البيت ج٧) ومنها مااخرجه احمد فى مسنده (ج٣ ص١٧) :

انى اوشك ان ادعى فاجيب وانى تارك فيكم الثقلين كتاب الله عزوجل وعترتى ، كتاب الله حبل ممدود من السمـاء الى الارض وعترتى اهل بيتى ، وان اللطيف الخبير اخبرنى انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظرونى بم تخلفونى فيهما .

(١) اخرج هذه الاحاديث من اعلام العامة مايرثو على المائة عن جمع من الصحابة ولفظها فى بعض طرقها هكذا مثل اهل بيتى مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق .

(٢) ولفظها فى بعض طرقها هكذا: النجوم امان لاهل الارض واهل بيتى امان لامتى من الاختلاف الخ .

الامة من الضلالة والاختلاف).

ولايخفى عليك ان الاحـاديث في عصمة النبى والامام كثيرة جداً والاحاديث المذكورة وان لم تدل على عصمة النبى الا انه بعد الدلالة على عصمةالامام تدل علىعصمة النبى بالطريق الاولى ،وانما استشهدنا بهذهالاحاديث لتواترها وشهرتها بين الفريقينومن اراداكثر من ذلك فليراجع الموسوعات والجوامع كالكافى والبحار .

وقد ثبت بالادلة العقلية والنقلية عصمة النبى والامام عن جميع المعاصى عمداً وخطا وسهواً ، وعن السهو والنسيـان فيما يؤل الى تبليغ احكام اللهتعالى وشئون الرسالة والامامة، واما العصمة عنالخطاء والنسيان والسهو فى الامور العـادية وترك الاولى لغير نبينـا والائمة عليهم السلاممن الانبياء الماضين فغير ثابتة بل ربما يستظهر من بعض الايات والاحاديث صدورهذه الامور من بعضهم ، وهذا وانكان قابلا للتاويل الا انه ليس فى البحث عنه كثيرفائدة لان مثل ذلك غيرمضر بشئونرسالاتهم ومقاماتهم العلية . الثابتة ، وليس منالامور الاعتقادية التى تجب معرفتها فيكفينا الاعتقاد فى ذلك ان قيل بوجوب الاعتقاد فيه بما هوالواقع. نعم لما قلنـا ان العصمة هى أعلى مراتب حضور العبد عند مولاه ونورانية نفسانية ملكوتية تذهب بكل الظلام ،وتشرق كل وجود صاحبها فلاشك ان لهذه النورانية مراتب درجات اعلاها ما حصل للنبى والائمة عليهم السلام ، وادناها ما يصون الشخص عن المعاصى عمدا وسهواً وعن الاشتباه والسهووالنسيان فىامر الرسالة وشئونها ، فعلى هذا يمكن ان يوجد فى عظماء الانبياء نورانية وعناية

ربانية دائمة تصرفهم عن ترك الاولى وتدفع عن قلبهم غطاء السهو و حجاب النسيان .

واما بالنسبة الى نبينا صلى الله عليه وآله واوصيائه وخلفائه الاثنى عشر عليهم السلام فحيث انهم فى اعلى مراتب القوة القدسية والنورانيةالربانية ، ولاتفوق رتبتهم فى الحضورعند المولى والجلوس على بساط قربه وانسهرتبة ، فعدمصدور ترك الاولىعنهم كعدمصدور المعاصى فى نهاية الوضوح يظهر ذلك لكل من درس تاريخ حياتهم النورية و اخلاقهم الالهية ، وادعيتهم ومناجاتهم ، وخشيتهم من الله تعالى وانابتهم اليه وانقطاعهم عن الخلق فهم أكمل المظاهرلاخلاص العبد وترك الاشتغال بغير الله تعالى لايصدرون الا عن امره كل فعالهم محمودة مرضية و كل حالاتهم حميدةشريفةلاتؤثرفى وجودهمالدواعى الا داعى الله وعن الاشتغال بغيره وامتثال اوامره ونواهيه ، قدخرقت ابصارقلوبهم حجبالنورفوصلت الى معدن العظمة، وصارتارواحهم معلقة بعزقدسه ، جباههم ساجدة لعظمته وعيونهم ساهرة فى خدمته ، ودموعهمسائلةمن خشيته وقلوبهممتعلقةبمحبتهوافئدتهم منخلعة من مهابته انقطعت همتهم اليه ، وانصرفت رغبتهم نحوه ، لقائه قرة اعينهموقربه غاية سؤلهم .

اذأفكيف يصدر ترك الاولىممن بعض شئونه وحالاتهماسمعت رزقناالله تعالى محبتهم وولايتهم وشفاعتهم وحشرنا فى زمرتهم .

ولا يخفى عليك : ان ترك الاولى ليس معناه ترك المستحباو فعل المكروه فحسب بل ربمايكون بترك المستحب اوفعل المكروه،

وربما يكون بفعل المستحب وترك المكروه والنبى والامام اعلم بموارد ترك الاولى فلايجوز نسبة ترك الاولى الى النبى والولى بل الى غيرهما من الفقهاء العارفين باحكام الله تعالى وموارد تزاحم المستحبات والمكروهات بعضها مع بعض بمجرد ترك المستحب اوفعل المكروه بل يمكن الاستدلال بفعلها على عدم كون هذا الفعل اوالترك مستحبا او مكروها بقول مطلق والا فلم يصدر منها .

ثم انه قدبقي هنا مطلب آخر ،وهو النطر فى الآيات والاحاديث التى توهم منه عدم عصمة الانبياء ولئلا يطول بنا المقام نحيل الباحثين الى التفاسير المأثورة عن اهل بيت النبوة اعدال القرآن الكريم ، وكتاب تنزيه الانبياء والشافى وتلخيصه ، واللوامع الالهية، وبحار، الانوار وغيرها من كتب الكلام والحديث ، ومجمل القول فى الآيات انها غير ظاهرة فى عدم عصمة الانبياء ولوسلم ظهور لبعضها يجب تأويله وحمله على عدم ارادة ظاهرها . واما الاحاديث فاكثرها من الاسرائيليات ومخرجه فى كتب العامة فهى اما موضوعة لاسندلها ولا اصل كخبر الغرانيق والاسرائيليات التى اخذت من اليهود مثل كعب الاحبارو وهب بن منبه فى قصص الامم الماضية وانبيائهم تجدفيها من الخرافات والاعاجيب ما يضحك به الثكلى ، واما ضعيفة السند لا يعتمد عليها سيما فى اصول الدين ومعارضة باحاديث اخرى صحيحة معتضد بحكم العقل .

وبالجملة فلا تجد فى الاخبار ما يصح التعويل عليه والركون اليه فى نفى العصمة للانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم اجمعين والله

الهادى الى الصواب .

البحث الثانى :

فى علم الامام عليه السلام .

واليك سئوال السائل العزيز بلفظه : هل يزداد علم الامام المعصوم عليه السلام مع الايام وهل ان علمه (ع) قبل (بعد ظ) توليه الامامة يختلف عنه قبل ذلك ؟ واذا كان الامر كذلك فكيف يمكننا والحالة هذه الحكم بافضلية الامام على (ع) على الامام الجواد (ع) الذى تولى الامـامة وهو ابن تسع سنين ؟

الجواب : قد عقد امـام المحدثين ثقة الاسلام الكلينى رضى الله عنه فى كتاب الحجة من الجـامع الكافى ابوابـا فى علومهم باب لولا ان الائمه عليهم السلام يزدادون لنفد ما عندهم .

وابداء الرأى فى هذه الابواب لو لم نقل يكون بعضها من متشابهات كلامهم واسرارهم عليهم السلام موقوف على ملاحظة جميعها ، ومافيها من الاحاديث ، ورد مجملها على مفصلها وظاهرها على صريحها ، وملاحظة اسنادها ثم شرحها و تفسيرها بما لايخالف اصول المذهب كافضيلة الامام امير المؤمنين عليه السلام من سائر الأئمة عليهم السلام وافضلية رسـول الله صلى الله عليه وآله مـن الجميع فلـو فرض وجـود حديث معتبـر يدل بلازمـه الخفى مثلا على افضلية بعض الائمة عليهم السلام مـن امير المؤمنين عليه السلام لايحتج به لان المعلوم من ضرورة المذهب ومايعرفه الخاص والعام من مذهب اهل البيت عليهم السلام اتفاقهم على افضلية

امير المؤمنين من غيره من الائمة .

فمثل هذا اللازم ليس المراد قطعا ، وهذه القرينة القطعية تكفى في تعيين المراد ، وعدم اعتبار مثل هذه اللوازم بل الظواهر .

اذا اعرضت هـذه الاحاديث على اهل الفن وعلى من له انس باحاديثهم ومعرفة مذاهبهم لا يعتنى بمثل هذه الاحتمالات كما انك لاتحتمل اذا سمعت قائلا يقول (رايت اسداً يرمى) ان مراده من الاسد هو الحيوان المفترس.

وبعد هذه المقدمة نقول : ان ازدياد علم الامام المعصوم امر ممكن معقول قد ورد في الاحاديث ، ولاشك في ان الانبياء والائمة عليهم السلام وان علموا الاسماء وان الائمة عليهم السلام علموا علم ماكان ومايكون(١)

---

(١) عقد في الكافي بـابـا بهذا العنوان : (باب ان الائمة (ع) يعلمون علم ماكان ومايكون ، وانه لايخفى عليهم الشيىء كما عقد بـابـا بهذا العنوان: بـاب ان الائمة (ع) يعلمون جميع العلوم التى اخرجت الى الملائكة والانبياء والرسل (ع) وقال مولانا اميرالمؤمنين (ع) على ما في نهج البلاغة (خطبة ١٧٥) : والله لوشئت ان اخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه ، وجميع شأنه لفعلت ، ولكن اخاف ان تكفروا في برسول الله(ص) الاواني مفضية الى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه والذى بعثه بالحق واصطفاه على الخلق ما انطق الاصادقاً وقد عهد الى بذلك كله وبمهلك من يهلك ، ومنجي من ينجو ، ومآل هذا الامر ، ومابقى شيئاً يمر على راسي الاافرغه في اذني وافضى به الى . وقال (ع) (خطبه ١) .

فأسئلوني قبل ان تفقدوني فوالذى نفسي بيده لاتسألوني عـن شيء فيما بينكم، وبين الساعة ولاعن فئة تهدى ماة وتضل ماة الاانبأتكم بناعقها*

الا انه لاشك فى ان علم الجميع عند علم الله ليس الا كما قال الله تعالى: وما اوتيتم من العلم الا قليلا (١) .

ولهذا خاطب نبيه الذى علمه مالم يكن يعلم وقال : وقل رب زدنى علما (٢) .

فالامام كالنبى فى حركته الكمالية وسيره الى الله تعالى لايقف على حد كما ان اسير الى الله تعالى فى عين انه فى كل مرحلة من مراحله مرتبة من الوصول ، ونيل المقصود لانهاية له ولاينتهى الى حد ففى هذا السيريسير الامام دائما الى الامام ، ولايتساوى يوماه بل كل يوم من ايامه افضل من امسه وليس ابتداء هذا السير من حين الولادة الجسمانية بل يبتدء من حين وجوده النورى ، و يستمر فى العوالم ، والنشئات التى يسار به قبل هذا العالم كما ان امده لاينتهى بارتحاله من هذا الدنيا ، ولعل سائر الناس من العلماء والصلحاء فى عالم البرزخ كان هذا حالهم لاينتهى سيرهم الكمالى بالموت العنصرى بل يمكن ان يكون الموت لهم بحسب صلاحياتهم وقابلياتهم مبدءاً لمثل هذا السير والله اعلم .

والحاصل ان مثل هذا السير لازم لكل سالك الى الله ولانهاية له فهو لايزال فى حال الرجوع الى الله تعالى : قال الله سبحانه.

---

*وقاعدها وسائقها ومناخ ركابها ، ومحط رحالها ، ومن يقتل من اهلها قتلا ويموت فيها موتا .

(١) الاسراء ـ ٨٥ .

(٢) سورة طه ـ ١٨٤ .

انالله وانا اليه راجعون (١) وقال : الاوالى الله تصير الامور(٢)
ولو فرض لسلوكه وسيره ورجوعه هذا انتهاء فلادخل لطول حياته العنصرية وقصرها فيه ولايخفى عليك : اذا وان عجزنا عن درك حقيقة هذا الشأن ، والعلوم التى تفاض على الامام الانه لاوجه لاستبعاد مثل هذا الشان لهم وكم لهم من الشئون بل ولغيرهم مما لاندرك حقيقته ولكن نعرفه بآثاره ونلمسه بعينه .

اذا فلادخل لتولى الامامة وعدمه فى العلم الذى يزداد الامام حتى يشكل الحكم بافضلية الامام على عليه السلام على الامام الجواد عليه السلام .

نعم فى العلوم المشار اليها بقوله سبحانه : وعلم آدم الاسماء كلها(٣) .

وفيما هو من مؤهلات الامامة ، الائمة عليهم السلام سواء لايتفاوت علمهم هذا بعد توليه الامامة عن قبلها ولايزدادون فيه بتوليهم

وعلى هذا يدفع توهم الاشكال فى افضلية الامام على عليه السلام من الامام الجواد عليه السلام لتوليه الامامة فى صغر سنه لعدم ثبوت فضيلة له على سائر الائمة بذلك .

ومسئلة تولى الامامة امر نظامى يرجع الى الحكم والادارة ، لاتنحصر شئون الامامة فيه ، والامام صاحب هذه الشئون قبل الامامة

---

(١) البقرة - ١٥٦ .

(٢) الشورى ٥٣ .

(٣) البقرة ٣١ .

كبعد توليه فمن جملة هذه الشئون حجية اقواله وافعاله فى الاحكام الشرعية والمعارف الاسلامية فهذه ثا بتة له مطلقاولادخل لتوليه الامامة فى ذلك .

فالامام الحسن عليه السلام امام واسوة ، واقواله وافعاله وسيرتهوهداه حجّة يجب الاخذ بها ويحرم ردّها في حياة ابيه وقبل توليه الامـام والنظام ، كما ان الحسين عليه السلام ايضاً قبل توليه الامور فى عصر ابيه وعصراخيهكان اماماً كما نصّ على ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : الحسن والحسين امامان قاما او قعدا .

فهما امامان حتى فى عصر النبى (ص) وفى صغر سنهما .

والامامعلى عليه السلام ايضاً كان اماماً ووليا قبل توليه الامامة والولاية فى عصر الرسالة ايضاً ولاينافى ذلك كونه مأموراً باطاعة النبى صلى الله عليه وآله وكون النبى متبوعا ونبياً وحاكماً عليه والامام عليه السلام تابعاً له ومقتد يابه وواحداً من أمته ومستضيئاً من انوار علومه ومتبعاً بشريعته وكوناامامة الامام وسائر الائمة (ع) ايضاً جزء من شريعته ورسالاته .

ويدل على ذلك الحديث الاول من (باب حالات الائمة (ع) فى صغر السن من كتاب الحجة من الكافى) والحديث طويل اخرجه باسناده عن الكناسى قال سألت ابا جعفر عليه السلام ....(الى انقال ، فقلت جعلت فداك أكان على عليه السلام حجـة من الله و رسوله على هذه الامة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

فقال: نعم يوم اقامه للناس ونصبه علماً ودعاهم الى ولايته، وامرهم

بطاعته‌قلت : وكانت طاعة على عليه السلام واجبة على الناس فى حياة‌رسول‌الله وبعد وفاته ؟

فقال : نعم ولكنه صمت فلم يتكلم مـع رسول الله صلى الله عليه وآله كانت الطاعة لرسول‌الله صلى الله عليه وآله على امته وعلى على عليه السلام فى حياة رسول الله كانت الطاعة من‌الله ومن رسوله على الناس كلهم لعلى عليه السلام بعد وفاة رسول‌الله صلى الله عليه وآله وكان على عليه السلام حكيماً عالماً .

ثم ان لنا كلاما فى‌المقام لابأس بالاشارة اليه وهو ان افضلية بعض الناس من بعض وبعض الانبياء من‌بعض، وبعض الأئمة‌من‌بعض انمـا يكون بقوله مطلق فـى الصفات النفسية والخصـائص الذاتية ، والتخلق بـالاخلاق الالهية اذا كان المفضل فى‌كل هذه الكمـالات اقوى وأفضل من غيره اما فى غيرها من الفضائل فربمـا لايوجد مـن يكون بـاعتبار جميع العناوين والاوصـاف افضل مـن غيره فـان الامام على عليه السلام افضل من ابنيه سبطى نبى الرحمة من جهة انه ابن عم الرسول وزوج البتول‌وابوالسبطين فليس لهما ابن عم‌كابن عم‌ابيهما، وزوجة كزوجته ، وابنتين كابنيه ، وهما افضل من الامام عليه السلام من جهة ان لهما اب مثل الامام ، وجد مثل الرسول صلى الله عليه وآله وام مثل سيدة نساء العالمين وليس للامير عليه السلام هذه الفضائل، وجعفر الطيار الشهيد افضل مـن اخيه الامـام من جهة ان له اخا كالامام وليس للامـام اخ كاخ جعفر رضى الله عنه .

ومسئلة تولية الامـام الجواد عليه السلام الامامة فى صغرالسن فضيلة ، و ان شئت قل افضلية من هذا القبيل فـالامـام ابوالحسن الرضا عليه السلام

استشهدوابنه الامام الجواد عليه السلام في صغرالسن لابد له من تولى الامامة بعدابيه وقيامه مقامه لانه وسائرالائمة عليهم السلام في مؤهلات تولى الامرفي حال صغرهم و كبرهم سواء ، ومن هنا يعلم ان نبوة عيسى ويحيى في صغرهماوكونهما صبيين لايدل على افضليتهما من غيرهما من الانبياء لان نبوتهما في حال الصغر ليس لانهما استأهلا لذلك، وغيرهما ممن صارنبيا بعد ما بلغ اشده لم يستاهل لذلك في حال الصغر . بل ربما ذلك كان لحكمة ومصلحة اقتضت ذلك فيهما ، وتلك في غيرها فبقاء النبي في القوم اربعين سنة ، وظهور صدقه و امانته ، ومكارم اخلاقه في الناس ربماكان هوالمصلحة الموجبة لتاخربعثه وماموريته للدعوة الى الله تعالى كما ربما يكون ذلك لحصول الاستعداد اللازم في الناس لقبول الاسلام وغير ذلك من المصالح التي لايعلمها الاالله . والراسخون في العلم « والله اعلم حيث يجعل رسالته » (١) .

البحث الثالث :

في اختلاف مستويات الائمة عليهم السلام في الايمان والعلم والاخلاق

قال السائل المحترم زادالله في سداده ورشاده : كيف يمكننادرء الشبهة القائله باختلاف مستويات الائمه (ع) ايمانا وعلما واخلاقـا ، وذلك باعتبارما يرويه لنا التاريخ من سيرهم ؟

اقول : ان كان المراد من المستويات ، مقومات الاهلية للامامة وتولية الامـامة والزعامة والقيادة ، فكل واحد منهم عليهم السلام واجدلتلك

---

(١) الانعام ـ ١٢٤ .

المرتبة وان كان المراد اختلاف مستوياتهم فى الزايد على هذه المرتبة فالذى دل عليه الدليل هو افضلية الامام امير المؤمنين عليه السلام من سائر الائمة و انبياء السلف عليهم السلام . ويستفاد من بعض الاحاديث ان مولينا المهدى عليه السلام و هو تاسع الائمة التسعة من ذرية الحسين عليه السلام افضل التسعة كما ان الاحاديث الكثيرة دلت على انه عليه السلام يؤم عيسى على نبينا وآله وعليه السلام .

وان كان المراد ان سيرهم التاريخية دلت على اختلاف مستوياتهم فنقول:

اولا : ان سيرهم التاريخية انما دلت على علو مستوى ارباب هذه السير، ولم نجد فيما بايدينا ما يدل على اختلاف مستوياتهم ومجرد عدم حفظ التاريخ سيرة بعضهم وما صدر منه من العلوم لا يدل على ان مستوى غيره ممن حفظ عنه التاريخ ذلك، كان ارفع واعلى منه لاسيما مع ما نعلم بان السبب الوحيد فى عدم حفظ ما صدر من بعض الائمة عليهم السلام مثل الامامين السبطين (ع) الا النزر اليسير هو السياسات الغاشمة الجبارة الحاكمة على المسلمين .

و ان شئت ان تعرف افاعيل السياسة فى ذلك والخسارات العلمية التى منيت بها هذه الامة من ارباب هذه السياسات التى حرمت الناس حرياتهم فى اخذ العلوم الاسلامية من منابعها الاصلية ، ومصادرها الاولية راجع كتب التاريخ ، و كتاب النصايح الكافية وكتابنا امان الامة .

نعم مرت على هذه الامة ازمنة كان اخذ العلم عن اهل البيت

عليهم السلام ، وروايته من اعظم الجرائم السياسية يعذب محبيهم و شيعتهم شرتعذيب وينكل بهم اشد التنكيل يقطعون ايديهم والسنتهم ويقتلونهم شرقتلة ، ويسبّون بطل الاسلام، ونفس الرسول وباب علمه ، وخليفته ووصيه على المنابر التى لم تقم فى الاسلام الابمجاهداته وتضحياته وبطولاته.

ففى هذه الظروف والاحوال لم تسمح الفرص لبعض الائمة عليه السلام القيام ببث العلم كما سمحت للبعض الاخر مثل الامام الباقر والامام جعفر الصادق عليهما السلام ومع ذلك فمافى ايدينا منهم يكفى فى الدلالة على علومهم اللدنية وان مستوى كل واحد منهم والجميع سواء فهذه الامام جعفر الصادق عليه السلام قد اخذ العلم منه جماعة يربو عددهم على اربعة آلاف رجل حتى ان الحافظ الشهير ابن عقدة (المتوفا سنة ٣٣٣) صنف كتابا فى اسماء الرجال الذين رووا عنه اربعة آلاف رجل واخرج لكل رجل حديثا وعلماً رواه عن الصادق عليه السلام وله ايضا كتاب من روى عن امير المؤمنين و كتاب من روى عن الحسن والحسين عليه السلام ، و كتاب من روى عن على بن الحسين عليه السلام و كتاب من روى عن ابى جعفر محمد بن على عليه السلام وهو الذى قال فى مجلس مناظرته انه يجيب بثلاثمأه الف حديث من احاديث اهل البيت عليهم السلام .

ومن سبر كتب الحديث واصول الشيعة و كتب التراجم والرجال ومابقى مما صدر عنهم فى الاجواء المملوءة بالاضطهاد والاختناق فى جميع حاجيات الانسان المعنوية والمادية يعرف ان مستواهم فى جميع الكمالات اعلى و انبل من ان يقاس اليهم احد من الناس جعلنا الله

تعالى من شيعتهم، ووفقنا لمتابعتهم والاقتداء بهم ومن المنتظرين لفرج قائمهم صلى الله على محمد وآله الطاهرين .

وآخر دعوانا ان الحمدلله رب العالمين .

ليلة السابع عشر من رجب المرجب سنة ١٤٠٣ ه ق .

لطف الله الصافى

فهرس الرسالة الاولى

فهرس الرسالة الثانية

فهرس الاغلاط

ص	س	الصواب	ص	س	الصواب
١٠	٢٠	محمد بن الحسن الطوسی	٧٣	١٣	نذكره
١١	١	خدمته	٨٢	٤	رفعنا هذه
١١	٣	آية التطهير وعصمة اهل البيت	٨٨	١٣	عصمه
١١	١٦	٥٤٤-٦٦٠	٩٠	١٦	والخيالية
١٢	١٧	فرغ	٩٤	١٢	والذين
١٣	١٦	(-١٠٠٩)	٩٧	٣	كتاب
١٧	١	باهل البيت	٩٨	٩	حجية
١٩	٣	كان حاقنا	١٠٥	٤	والسارق
١٩	٥	ما امروا به	١٠٦	١٤	المستقبل
١٩	١٣	وان شئتم	١٠٨	٢	قال
٣٠	١٣	افعالهما فلم تكن	١٠٨	١٢	سلطان
٣٣	١١	(٢)	١٠٩	١٣	حكمهما
٣٣	٢٠	(-١٠٥١)	١٠٩	١٦	ورائهما
٣٤	١٣	يتحقق	١١٠	٤	ما امر به
٣٨	١٦	الارادتين	١١١	٧	احاديث الامان
٤٧	٥	اقترانه	١١١	١٦	الخبير
٤٨	٦	يمكن ان يكون المراد	١١٢	٥	استشهدنا
٥٩	١٧	(-٧٨٦)	١١٤	٦	منه
٦٢	٩	مايقع	١١٤	١٠	وبحار الانوار
٦٣	١٦	آية	١١٤	١٤	ومخرجة
٦٤	١٤	لاتنافی	١١٧	٦	السير
٦٨	٩	الاخبار	١٢٠	٩	بقولی
			١٢٠	٢١	الافضلية

تقدم مؤسسة الامام الصادق عليه السلام

للتحقيقات الاسلامية

كتاب «ابانة المختار» تأليف استاذ الفقهاء والمحققين «شيخ الشريعة» الاصفهاني (قدس سره).

والكتاب يبحث عن مسألة طال التشاجر فيها بين اعلام الوقت ومشاهير العصر، وهي مسألة: ارث الزوجة من ثمن العقار بعد الاخذ بالخيار، وقد رفعت هذه المسألة من بعض اخواننا من اهل جيلان عام (١٣١٧ هـ) الى اشهر مراجع التقليد في النجف الاشرف وهم: المحقق الشيخ محمد كاظم الخراساني، والفقيه الشهير السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي، وشيخ الشريعة الاصفهاني، وغيرهم من اجلاء العلماء، فافرد شيخنا المؤلف رسالة منيفة في الاجابة على هذه المسألة ناقش فيها رأي معاصريه ممن يخالفه في الرأي. اوفى طريق الاستدلال والبرهنة والقارىء الكريم اذا امعن النظر في هذه الرسالة تنفتح امامه آفاق من العلم والفكر، ويقف على رسالة قيمة لامثيل لها.

وقد تم انتاج هذه الرسالة وتحقيقها في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام للتحقيقات الاسلامية. وفي الوقت الذي تقوم فيه هذه المؤسسة بنشر الاثر الخالد القيم، تقدم شكرها الى الشيخ على الفاضل القائني النجفي حيث قام بتحقيق نص هذه الرسالة وتخريج مصادرها في المؤسسة فشكر الله مساعي المؤلفين والمحققين من علمائنا الابرار ووفقنا الله للاستضاءة بانوار علومهم واشعة معارفهم انه خير مجيب.

مؤسسة الامام الصادق عليه السلام

ثمن النسخة ريالاً قم - ساحة الشهداء - الهاتف ٢٣١٥١